مكتبة الأسرة
1997
١٩٩٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الأدب العالمي للناشئين

كنوز الملك سليمان

سير رايدر هاجارد



مهرجان القراءة للجميع

كنوز الملك سليمان

كنوز الملك سليمان

سير هـ. رايدر هاجارد

ترجمة

مختار السويفي

مهرجان القراءة للجميع ٩٧
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(الأدب العالمى للناشئين)

كنوز الملك سليمان

سير هـ. رايدر هاجارد

ت: مختار السويفى

الغلاف

الإشراف الفنى:

الفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتنضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاثة الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وان مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم...

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم صفحات متألقة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر القوة فى عالم اليوم..

صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

مقدمة

عزيزي القارىء .

تعتبر هذه الرواية واحدة من أشــــهر روايات المغــــامرات فى تاريخ الأدب .. وهى رواية مثيرة ومشوقة ، لا تستطيع أن تتركها اذا بدأت فى قراءتها، الا بعد أن تنتهى آخر صفحة فيها .

ولكن قبل أن تبدأ في قراءتها أريد أن أقول لك كلمة .. فقد كتبت رواية « كنوز الملك سليمان » فى

أواخر القرن التاسع عشر ، وبالتحديد فى عام ١٨٨٥ وفى ذلك الوقت كانت قارة افريقيا كلها واقعة تحت سيطرة الدول الاستعمارية (ومنها انجلترا وفرنسا وبلجيكا وهولاندا والمانيا واسبانيا والبرتغال) .

وفى الحقيقة كانت افريقيا السوداء (جنـوب الصحراء الكبرى) منعزلة عن العـالم .. وكانت معظم مناطق الغابات الاستوائية والمدارية والبرارى العشبية والمناطق الصحراوية والجبلية مجهـولة تماما للعالم الخارجى .. وبالتالى فقد كان الأهـالى الأفريقيون الذين يعيشون فى تلك المناطق النائيـة، يعيشون حياتهم البسيطة التقليدية التى اعتادوا عليها منذ آلاف السنين ، ولذلك فقد كانوا لا يعرفون شيئا مما حدث فى أوربا وفى العالم الخارجى بصفة عامة من تطورات علمية وصناعية .

ومنذ أن جاءت الجيوش الاستعمارية لتتخـذ مناطق نفوذها فى مختلف أنحـاء أفريقيا السـوداء ، كانت مجهزة بالأسلحة النارية التى لم يكن الافريقيون

قد عرفوها بعد ٠ ومع ذلك فقد واجه الافريقيون هذه الجيوش وهم يستعملون اسلحتهم التقليدية البسيطة ..

ولكن .. ماذا يمكن أن تفعله السهام والرماح والحراب والسيوف والخناجر ، أمام القنابل والأسلحة النارية الأخرى من بنادق ومسدسات ومدافع رشاشة ؟!

لقد استسلم الافريقيون لمصيرهم أمام تلك القوى الغاشمة .. وأصبحت ثرواتهم المعدنية وخيرات أراضيهم الزراعية نهبا وغنيمة للدول الاستعمارية .. بل وكانت بعض تلك الدول الاستعمارية تقوم بقنص واصطياد الافريقيين أنفسهم من رجال ونساء وفتيان وفتيات لتبيعهم كالعبيد فى أمريكا ٠

وحتى يبرر الاستعمار جرائمه تلك ، أشاع أنه قد احتل افريقيا ليحضر ويمدين أهلها .. وأن الاستعمار نفسه فى صالح الانسان الافريقى الأسود ،

لأنه انسان بدائى جاهل يعيش فى عالم ملىء بالأوهام والخرافات والأساطير ·· وأن الرجل الأبيض قد جاء الى أفريقيا ليخرج هذا الانسان من عالم الظلمات الى عالم النور ·· وهكذا فقد ظهـــرت روايات طرازن (التى تحول معظمها الى أفلام سينمائية) لتؤكد هـذا المعنى ·

وعندما كتب السير هنرى رايدر هاجـارد رواية « كنوز الملك سليمان » ·· كان هذا المعنى مـــازال سائدا فى معظم الأوساط الثقافية فى مختلف انحـاء العالم ·

وبطبيعة الحال فان « كنوز الملك ســـليمان » رواية ، خيالية ، تجرى أحداثها فى مناطق جنــــوب أفريقيا (حيث توجد الآلاف من مناجم الماس والذهب والفضة والنحاس والصفيح وكافة المعادن الأخـــرى التى كان البيض يدعون أن الافريقيين الســـود لا يعرفون قيمتها الحقيقية) ·

وتـدور الرواية أســـاسا حـول الأهوال التى صادفها الرجال البيض الذين كانوا يبحثون عن كنوز من الماس مخبوءة فى بطن الجبل ٠٠ والمغامرات الجريئة والمثيرة التى قاموا بها فى سبيل الوصــــول الى تلك الكنوز ٠

ويعتبر السير هنرى رايدر هاجارد ، مؤلف هذه الرواية ، من أشهر الأدباء الانجليز ـ فى عصره ـ الذين كتبوا العديد من الروايات والمؤلفات التى تدور حول أفريقيا ٠

ولد المؤلف عام ١٨٥٦ ، ومات عام ١٩٢٥ ٠٠ وقد خدم اثناء حياته بالادارة القانونية البريطانيـــة بحكومة إقليم « الترانسفال » بجنوب افريقيا ، حيث كان الانجليز يسيطرون على هذا الاقليم ويحكمونه ٠٠ وقد استوحى المؤلف فكرة روايته ، بعد زيارة قام بها لأطلال أثرية يرجع تاريخها الى احدى الحضارات الأفريقية القديمة التى عاشت فى منطقة «أمبو بوى» ٠٠ وكتب المؤلف بعدها رواية آخرى عنوانهـــا « آلان

كوترمين » وهو اسم نفس البطل الرئيسى فى رواية « كنوز الملك سليمان » ·

وقد اتخذ المؤلف افريقيا مسرحا لمعظم رواياته الأخرى ، كما كتب أيضا بعض البحوث عن « الاستعمار في أفريقيا » ·· وكتب ترجمة ذاتية لحياته سماها « أيام حياتى » ·· أما أشهر أعماله الأدبية بالاضافة الى هاتين الروايتين ، فهى رواية « نجمة الصباح » ورواية «ابنة مونتزوما» ورواية «ايريك برايتيس» ·· وقد أخرجت معظم رواياته فى أفلام سينمائية لأنها روايات مثيرة ومشوقة وحافلة بالمغامرات الفذة ·

وكان المؤلف حريصا على تدوين مذكراته أولا بأول · وقد أعاد صياغة هذه المذكرات فيما بعد ، وأخرجها في كتاب « أيام حياتى » الذى صدر بعد موته بعام واحد ·

« المترجم »

« كنوز الملك سليمان »

أعتقد أن من الأفضل أن احكى قصتى هـــذه بطريقة مباشرة ·· سهلة وواضحة ·

واستميحكم عذرا لطريقتى الجافة فى الكتابة ·· فأنا معتاد على استخدام البندقية أكثر من استخدام القلم ··

وفى قبيلة « كوكوانا » الأفريقية مثل يقـــول : « الرمح الحاد ليس فى حاجة الى تلميع » · وبالمثل، فان فى اعتقادى أن القصة الحقيقية الصادقة ، مهمـا تضمنت من عجائب أو غرائب فانها لا تحتـــاج الى كتابتها بكلمات منمقة ·· !

« آلان كوترمين »

الفصل الأول

كيف قابلت سيرهنرى كيرتيس ..؟

من الغريب أن أجد نفسى بعد أن بلغت الخامسة والخمسين ، وقد أمسكت بالقلم لأكتب حكاية .. ولا أدرى أى نوع من الحكايات ستكون هذه القصة بعد أن أفرغ من كتابتها .

لقد صنعت العديد من الأشياء الطيبة فى حياتى الطويلة .. وأنا أتصورها حياة طويلة ربما لأنى بدأت

العمل في سن مبكرة ٠٠ ففى العمر الذى يذهب فيه الأولاد الى المدرسة ، كنت اعمل كبائع متجول ٠٠ ثم اشتغلت فى أعمال صيد الحيوانات ، والأعمال الحربية بل واشتغلت أيضا كعامل مناجم ٠

ومنذ ثمانية شهور فقط حصلت على ثروة طائلة ٠٠ أموال كثيرة لا أعرف حتى الآن كم هى ٠٠ وقد قضيت الخمسة عشر أو الستة عشر شهرا الماضية فى سبيل الحصول على تلك الثروة ٠ وانى لا اعتقد بأنى على استعداد لتكرار التجارب التى رأيتها خلال تلك الشهور مرة اخرى ٠ حتى ولو كنت على يقين بأنى سأخرج منها سالما فى النهاية ٠

والآن ٠٠ سأبدأ فى قص حكايتى ٠٠

أنا آلان كوترمين ٠ من مدينة دربان باقليم ناتال بجنوب شرق أفريقيا ٠٠ وكرجل جنتلمان أعدكم بأنى سأقول الحقيقة ٠٠ كل الحقيقة ٠٠ ولا شيء غير الحقيقة !

منذ ثمانية عشر شهرا ، قابلت « السير هنرى كيرتيس » و « الكابتن جود » لأول مرة . وذلك بعد أن قضيت اسبوعا في مدينة « الكيب » (١) . وكنت قد قررت أن أعود الى اقليم ناتال مبحرا على سفينة .

من بين جميع الركاب الذين كانوا مبحرين على ظهر تلك السفينة ارتحت الى رجلين اثنين لفتا نظرى منذ البداية . أولهما شاب فى جوالى الثلاثين .. جنتلمان بمعنى الكلمة .. وهو اضخم وأقوى رجل رأيته فى حياتى .. له شعر أشقر ، ولحية كثيفة شقراء .. ووجه دقيق الملامح .. وعينان رماديتان عميقتا النظرات .. ولم أر من قبل رجلا فى مثل لطفه .. ومع ذلك فقد شعرت بأن ملامح وجهه تبدو مألوفة لدى .. وحاولت أن أتذكر أين ومتى شاهدت شبيها له ، ولكنى أخفقت.ولم أتذكر شيئا .. وكان اسم هذا الرجل « سير هنرى كيرتيس » .

---

(١) انظر الخريطة .

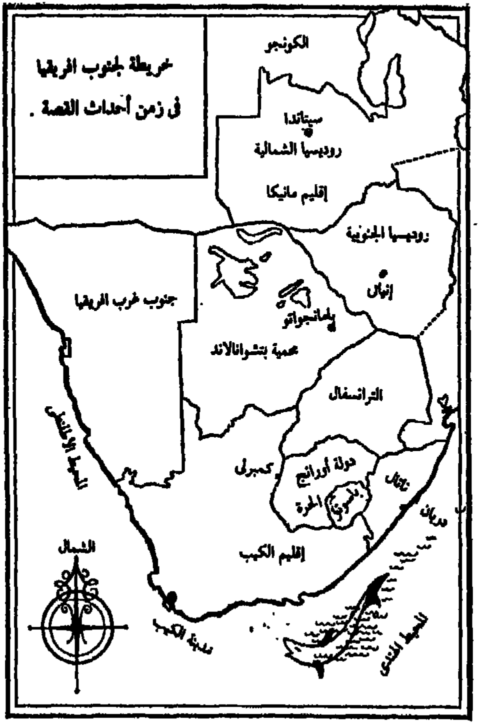
أما الرجل الثاني الذى كان مصاحبا للسير هنرى ، فقد كان قصيرا له بشرة لوحتها الشمس ، وكان من طراز مختلف عن السير هنرى .. وتخيلته لأول وهلة ضابطا بحريا ممن يعملون على السفن . وتحقق ظنى هذا بعد أن علمت أنه كان بالفعل ضابطا بحريا ترك خدمة جلالة الملك مؤخرا بعد قضاء نحو سبعة عشر عاما عاملا فى الاسطول .

وعلمت ان اسم هذا الرجل الثاني هو « الكابتن جون جود » .. وهو عريض المنكبين ، متوسط الطول له شعر أسمر ، مثير للانتباه بسبب حسن مظهره ، وشدة نظافته ، والبريق الذى يكاد يشع من لطف شخصيته .

كان يضع « مونوكل » (١) على عينه اليمنى .. وكانت هذه المونوكل بدون رباط وتبدو ثابتة باستمرار فى وضعها أمام عينه ، كما لو كانت قد

---

(١) عدسة زجاجية مفردة تعلق برباط - أو بدونه - أمام العين لتقوية نظرها ولتوضيح الرؤية .



جنوب افريقيا

نبتت من وجهه وأصبحت جزءا لا يتجزأ منه ٠٠ فقد كان لا يخلعها من عينه الا لكى ينظفها ويعيدها بسرعة الى مكانها ٠٠ وقد اعتقدت فى البداية انه لا يخلعها عن عينه حتى حين ينام ، ثم تبين لى خطأ اعتقادى هذا عندما عرفت أنه كان حينما يتأهب للنوم ، كان يخلع هذه المونوكل ، ويضعها فى جيبه مع طقم اسنانه الصناعية ، وهو طقم ذو أسنان لطيفة المنظر كان يستخدمه كبديل لأسنانه الأصلية التى فقدها ٠

توجهت أنا والكابتن جود الى صالة الطعام ، وهناك وجدنا السير هنرى كيرتيس جالسا فى انتظارنا ٠ وكنت منهمكا مع الكابتن فى حديث عن صيد الحيوانات والضرب بالنار ٠٠ ثم تطرق بنا الحديث الى كيفية صيد الأفيال وطريقة حياة هذه الحيوانات ٠ وهنا **قال شخص كان يجلس على المائدة المجاورة لنا :**

– آه يا سيدى ٠٠ انك تتحدث مع أنسب الرجال للحديث فى هذا الموضوع ٠٠ فالصياد كوترمين خير من يستطيع أن يتحدث عن الأفيال ٠٠ !

وهنا ظهرت علامات الدهشة على السير هنرى الذى كان ينصت الى حديثنا فى سكون ، ثم مـال بجسمه على المائدة وبدأ يحدثنى بصـوت منخفض عميق :

ـ معذرة يا سيدى .. هـل اسـمك الآن كوترمين .. ؟

فأجبته بالايجاب . ولكنه لم يقل شيئا بعد ذلك، غير أنى سمعته يهمهم لنفسه وهو يتحسس شـعر لحيته : يالحسن الحظ !!

وعندما انتهينا من تناول الطعام ، سألنى السير هنرى عما اذا كان من الممكن أن نذهب جميعا الى غرفته لنقضى بعض الوقت فى التدخين ، فوافقت ، وذهبنا نحن الثلاثة الى الغرفة ، وجلسنا ، وأشعل كل منـا غليونه . وقال السير هنرى موجها الحديث الى :

ـ مستر كوترمين .. فى مثل هذا الوقت مـن السنة قبل التى فاتت .. اعتقد انك كنت فى مكان

يســــمى « بامانجواتو » يقــع فى شــــمال اقليم « الترانسفال » •• ؟!

اندهشت بشدة •• فكيف تسنى له أن يعرف تحركاتى هذه •• وقلت :

ـ نعم •• هذا صحيح •• !

وقال الكابتن جود بطريقته السريعة :

ـ كنت تعمــل كتـــاجر حينئــذ •• أليــس كذلك •• ؟!

ـ نعم •• كانت معى عربة كبيرة محملة ببضائع مختلفة ، واتخذت مكانى خارج القرية ، وبقيت هناك الى أن بعت البضاعة كلها •

كان السير هنرى يجلس قبالتى ، ويســــتند بذراعيه على المائدة ، وهو يركز نظرات عينيه الرماديتين على وجهى •• نظرات ملؤها التساؤل والرغبـــة فى المعرفة •• وقال باهتمام :

ـ هل حدث أن قابلت هناك رجـــلا اســـمه « نيفيل » ...؟

ـ نعم .. لقد أقام فى مكان مجاور للمكان الذى كنت أقيم فيه .. وظل هناك عدة أسابيع ليستريح مع القطيع الذى كان يقوده قبل أن يواصل الرحيـــل مرة أخرى .. لقد تلقيت خطابا منذ بضعة شـــهور سئلت فيه عما اذا كنت أعرف شيئا عن مستر نيفيل هذا وعن مصيره .. وقد أجبت بكل ما أعرفه .

وهنا قال سير هنرى :

ـ هذا صحيح... لقد وصلنى خطابك هـــذا الذى قلت فيه ان مستر نيفيل قد ترك « بامانجواتو » فى بداية شهر مايو مستقلا عربة يقودها ســـائق ومصطحبا معه أحد الصيادين من الأهالى المحليين اسمه « جيـــم » .. وقاصـــدا التوجه الى « انياتى » (١) التى تعتبر آخر مركز تجارى فى هذه المنطقة .. وقلت

(١) انظر الخريطة السابقة .

فى خطابك ايضا أن مستر نيفيل باع عربته هنـــاك وواصل رحلته سيرا على الأقدام ٠ وانك قد رأيت هذه العربة بعد ذلك مع أحد التجار البرتغاليين ، وقد ذكر لك هذا التاجر أنه اشتراها من رجل أبيض لا يتذكر اسمه ٠٠ وأن هذا الرجل الأبيض كان يصطحب معه خـــادما من الأهــالى المحليين ، وأن الرجلين كانا فى طريقهما الى رحلة صيد ٠

حلت بعد ذلك فترة صمت ، ثم عاود سير هنرى حديثه الى :

ـ مستر كوترمين ٠٠ أعتقد أنك لا تعرف أو تستطيع أن تخمن السبب الحقيقى لرحلة مستر نيفيل تجاه الشمال ٠٠ وبالتالى لا تعرف المكان أو المنطقــة التى كان يقصدها ٠٠ ؟

قلت :

ـ لقد سمعت شيئا ٠٠ ٠٠

ولكنني توقفت عن الكلام ، لأني لم أكن راغبا في الكلام في هذا الموضوع الذى سمعته ٠٠ وهنا نظر سير هنرى الى الكابتن جود ، فأومأ الأخير برأسه ٠٠ وعلى اثر ذلك واصل السير هنرى حديثه :

ـ مستر كوترمين ٠٠ سأحكي لك قصة ٠٠ وسأطلب مشورتك ومساعدتك ٠٠ لأن الرجل الذى اوصاني بمراسلتك أخبرني بأنك انسان جدير بالثقة، ومحترم ومعروف جيدا في كل اقليم ناتال ٠

انحنيت له شاكرا ٠ وواصل السير هنرى حديثه :

ـ ان مستر نيفيل هو أخي الشقيق ٠٠ !

وصحت مندهشا ٠ فقد علمت الآن فقط لماذا احسست بأن وجه السير هنرى مألوف لدى عندما رايته لأول مرة ٠٠ واستمر السير هنرى في الحديث :

ـ أنه شقيقي الأصغر ٠٠ الأخ الوحيد لي وليس لي أخ سواه ٠٠ وحتى خمس سنوات مضت ٠٠ كنا

لا نفترق عن بعضنا أبدا لمدة تزيد عن شهر واحد ..
ولكن منذ خمس سنوات تشاجرنا مع بعضنا . وقد
سلكت سلوكا سيئا وظلمته أثناء غضبي .

وهنا أومأ الكابتن جود برأسه ، ليحث السير
هنري على مواصلة الحديث :

ـ وفي أعقاب هذا الخصام بيني وبين أخي ..
مات والدنا وترك ثروة آلت كلها الى وحدي باعتباري
الابن الأكبر . ولم يترك أبي لأخي الأصغر بنسا
واحدا . وكان من المفروض أن أقوم أنا بالصرف
والانفاق على أخي ، غير اني لم أفعل .. وأقول ذلك
وأنا اشعر بالخجل من نفسي .. وانتظرت حتى أجبره
على أن يسألني أن أعطيه بعض النقود .. ولكنه ترفع
عن هذا الطلب .. آنا آسف يا مستر كوترمين
لازعاجك بكل هذه التفاصيل .. ولكني أريد أن
أجعل كل شيء واضحا .. أليس كذلك يا كابتن
جود .. ؟

فقال الكابتن موافقا :

ـ طبعا طبعا ·· وأنا واثق فى أن المستر كوتزمين سيحتفظ بهذه الاسرار لنفسه ··

فقلت موافقا :

ـ لا شك فى ذلك !

وواصل السير هنرى حديثه :

ـ كان أخى يمتلك بضع مئات قليلة من الجنيهات ·· وبدون أن يخبرنى عما سوف يفعله ، أخذ هذه الجنيهات ·· واتخذ لنفسه اسم « نيفيل » ورحل الى جنوب افريقيا على أمل الحصول على ثروة ·· لقد علمت بكل هذا فيما بعد رحيله ·· ومرت سنوات ثلاث لم أسمع فيها أية أخبار عن أخى ·· هذا بالرغم من ارسالى العديد من الخطابات ·· ولكن لا شك فى انه لم يستلم أى خطاب من خطاباتى تلك ·· وبمرور الوقت بدأت أشعر بالقلق عليه ·· وبدأت فى اجراء بعض التحريات لمحاولة الحصول على أية معلومات عنه

.. وكان خطابك أهم نتائج تلك التحريات .. واخيرا قررت المجىء الى جنوب أفريقيا للبحث عنه بنفسى .. وقد تعطف الكابتن جود وقبل المجىء معى ..

وهنا قال الكابتن :

ـ نعم .. فلم يعد لدى شىء آخر لأعمله .. والآن اعتقد يا مستر كوترمين انك سوف تخبرنا بكل مـا تعرفه وبكل ما سمعته عن هذا الجنتلمان الذى يدعى « نيفيل » .. !

الفصل الثانى

وتحدثت عن كنوز الملك سليمان

مرت لحظات بدأت خلالها فى تعبئة غليـــونى بالطباق واستعد فيها للاجابة على طلب الكابتن جود. ثم بادرنى السير هنرى بطلب آخر :

ـ قل لنا ما سمعته من أخبار عن الرحلة التى قام بها أخى الى « بامانجواتو » .. !

قلت متأنيا :

ـ لقد سمعت بعض الأخبار ·· ولكنى لم أتكلم عنها اطلاقا قبل اليوم مع أى شخص آخر ·· لقد سمعت أنه كان يريد الذهاب الى حيث توجد « كنوز سليمان » ·

وهنا صاح الاثنان فى دهشة :

ـ كنوز سليمان ؟! ·· وأين توجد كنوز سليمان ·· ؟!

قلت بصدق :

ـ لا أعرف على وجه اليقين ·· ولكنى أعرف فقط المكان الذى قيل أن الكنوز مخبأة فيه ·· وفى احدى المرات رأيت قمم الجبال العالية التى يقع مكان الكنوز وراءها ·· ولكن كانت تفصل بينى وبين تلك القمم مسافة تبلغ نحو مائة وثلاثين ميلا من صحراء لا اعتقد أن أحدا من البيض اجتازها سوى شخص واحد فقط ·· وأنا أعتقد أن من الأفضل

بالنسبة لكما أن أحكي لكما كل ما أعرفه عن قصة كنوز سليمان ·· ولكن عليكما أن تعداني بأن تحتفظا بكل ما سوف أقوله سرا ·· ان لدى أسبابا لذلك فهل تعداني بالاحتفاظ بهذا السر ·· ؟!

فاجاب السير هنري والكابتن جود معا :

ـ طبعا طبعا ·· هذا شيء أكيد ··

وبدأت أروى القصة :

ـ في هذه المناطق من افريقيا · نصـادف بين حين وآخر بعض الرجال الذين أخذوا على عاتقهم مهمة القيام بتجميع الحكايات والقصص القديمة التي تشيع روايتها بين الأهالي المحليين ·· ومن فم رجـل مـن هؤلاء سمعت لأول مرة عن كنوز الملك سليمان ··وكان اسم هذا الرجل « ايفانس » ·

قال ايفانس هذا : هل سمعت شيئا عن « جبال سليمان » ؟ ·· انها الجبال التي خبأ فيهـا الملك سليمان كنوزه من الماس··لقد أخبرتني بذلك ساحرة

عجـــــوز تعيش في « اقليم مانيكا » (١) . وقالت الساحرة أيضا أن الناس الذين يعيشـــون في تلك الجبال فرع من قبائل « الزولو » ويتكلمون لغـــــة شبيهة بلغة قبائل الزولو المعروفة . ولكنهم الطـف وأكبر حجما من رجال الزولو .. وقالت الساحرة أن بين سكان جبـال سليمان هؤلاء يعيش بعض السحرة الذين يعرفون السر الخاص بكنز عجيب رائع مـــن « الأحجار البراقة » ..

هذه هي القصة التي سمعتها من ايفانس .

وبالطبع فقد اعتبرت تلك القصة رواية طريفـة ولم أعرها التفاتا بعد ذلك .. ولكن بعد نحو عشرين عاما سمعت أخبارا أخرى عن جبال سليمان وعـــن المنطقة التي تقع وراءها .

كنت عندئذ في قرية اسمها « سيتاندا » (٢) .. وفي يوم ما وصل رجل برتغالي ومعه رجل « مخلط »

---

(١) انظر الخريطة السابقة .

(٢) انظر الخريطة السابقة .

ـ أى من سلالة التزاوج بين البيض والسود ـ وكان الرجل البرتغالى يبدو فى سيماه النبلاء والأسر العريقة وكان نحيفا وطويل القامة وله عينان سوداوان • وكان اسمه « جوزيه سيلفستر » •

وفى اليوم التالى من وصول الرجل البرتغالى ، فوجئت به يحييني وقد خلع قبعته بنفس الطريقة الشائعة بين النبلاء البرتغاليين **ويقول لى** :

ـ وداعا يا سيدى •• وداعا •• واذا تصادف وتقابلنا بعد ذلك يوما ما •• فسوف تجدني عندئذ أغنى رجل فى هذا العالم •• واعدك بأنى سوف أذكرك !

وشاهدته بعد ذلك وهو يتجه غربا نحو الصحراء المترامية الأطراف •• **وساءلت نفسى** : هل هو رجل مجنون ؟! •• وماذا يا ترى يظن أنه سوف يعثر عليه هناك • ؟!

ومر نحو أسبوع ••

وبينما كنت جالسا أمام خيمتي استمتع برؤية قرص الشمس الأحمر وهو يهبط ببطء غارقا في أفق الصحراء المترامية ٠٠ لاحظت شبحا يتحرك على منحدر من الرمال يبعد عني بنحو ثلاثمائة ياردة ٠٠ كان يبدو كشبح لرجل أوربي لأنه كان يرتدي معطفا ٠٠ ولكنه كان يزحف على يديه وركبتيه ٠٠ وكان يحـــاول أن ينهض واقفا على قدميه ليخطو بضع خطـــوات ، ثـــم سرعان ما سقط على الأرض زاحفا من جديد ٠٠ وفي الحال ، ارسلت اليه أحد الصيادين المحليين الذين يعملون معي لكي يساعده ٠ وبعد فترة عاد ومعـــه ٠٠ من تظنون ٠٠ ؟!

فقال الكابتن جود :

ـ جوزيه سيلفستر على ما أظن !

فقلت مواصلا قصتي :

نعم ٠٠ جوزيه سيلفستر ٠٠ أو بالتحديد عظامه المكسوة بالجلد ٠٠ فقد كان أصفر الوجه من شـــدة

المرض ، وأوشكت عيناه السوداوان أن تخرجا من رأسه .. كان مجرد قطعة من الجلد الأصفر الشاحب يغطي مجموعة من عظام بارزة واهنة .. **وكان يهمهم في ضعف : ماء .. شربة ماء بحق الله .. !**

كانت شفتاه مشققتين من شدة الجفاف ، يظهر بينهما لسان اسود .. واعطيته ماء ممزوجا بقليل من اللبن .. زجاجتين كبيرتين مملوءتين .. شربهما بنهم شديد واحدة وراء الأخرى .. ومنعته عن شرب المزيد حتى لا يصاب بالضرر .. وعاوده الاحساس بالمرض ، فسقط على الأرض ، وبدأ يهذى بوحشية عن جبال سليمان .. وكنوز الماس .. والصحراء !

حملته وأدخلته الى الخيمة .. واعتنيت به باقصى ما أستطيع .. وفى حوالى الحادية عشرة مساء بدأ يهدأ ، فذهبت الى فراشى وتأهبت للنوم ..

وقبيل شروق الشمس استيقظت ..وفى الضوء الخافت الذى يعقب الفجر ، شاهدت سيلفستر فى

هيئة غريبة ومخيفة ٠٠ وكان جالسا يحملق بعينيه في الصحراء المترامية ٠٠ وسطع أول شعاع من الشمس المشرقة على سطح السهل الواسع الممتد أمامنا ٠٠ وظل هذا الشعاع يتحرك حتى سطع على أعلى قمة من جبال سليمان التى كانت تبعد عنا بأكثر من مائة ميل ٠٠ وعندئذ صاح سيلفستر وهو يحتضر ويشير في الوقت نفسه بذراعه الهزيلة :

ـ ها هى ٠٠ ولكنى لن أصل اليها أبدا ٠٠ ولن يصل اليها أحد أبدا ٠٠ !

ثم مرت فترة صمت ، ونظر تجاهى بضعف وقال بصوت واهن :

ـ هل أنت هنا يا صديقى ٠٠ يبدو انى بدأت أفقد النظر ٠٠

فقلت مواسيا :

ـ لا عليك ٠٠ أرقد واسترح ٠ ؟

قال :

ـ نعم سأستريح الآن .. وسأستريح بعـــد ذلك الى الأبد .. اسمع يا صديقي .. انى أشـــعر باقتراب الموت .. ولأنك كنت طيبا معى وأسديت الى صنيعا جميلا .. لذلك فسوف أعطيك « الوثيقة » .. ربما تستطيع أن تعيش حتى تقهر تلك الصحراء التى قضت على وقضت على خادمى المسكين من قبلى .

ومد يده الى داخل قميصه ، وأخرج كيســـا صغيرا مصنوعا من جلد الغزال ، وكان الكيس مربوطا بشريط جلدى . وحاول أن يفك عقدة الشريط فلم يستطع ، فأعطانى الكيس وطلب منى أن أفك الشريط بنفسى . وعندما فككته وجدت بداخله قطعة ممزقة من قماش أصفر اللون ، كتبت عليها بضع كلمات بلون أحمر يميل الى البنى . وبداخل القماش وجدت قطعة من الورق .

وقال سيلفستر بصوت اصبح أكثر ضعفا :

ـ هذه الورقة تتضمن كل ما كتب على قطعـــة

القماش ٠٠ وقد استغرقت عدة سنوات حتى تمكنت من قراءة ما كان مكتوبا على القماش ٠٠ انصت الى جيدا ٠٠ أنا من أحفاد جوزيه دى سيلفستر الذى كان يعيش منذ نحو ثلاثمائة عام ٠٠ وكان مـــن أوائل البرتغاليين الذين وصلوا الى هذه المناطق ٠٠ وقـد قام بكتابة هذه الكلمات وهو يحتضر على سفح أحد هذه الجبال التى لم يطأها من قبل رجل أبيض ٠٠ وبعد موته أحضر خادمه هذه « الكتابة » الى مدينـــة ديلاجو وسلمها للعائلة ٠٠ وظلت في حيازة العائلة منذ ذلك الوقت دون أن يهتم أحد بقراءتها ، الى أن قمت أنا بذلك ٠٠ وهأنذا أفقد حياتى بسـببها ٠٠ ولكنى اعتقد أن أحدا غيرى قد ينجح فيما فشلت فيه ٠٠ وسيصبح عندئذ أغنى رجل فى العـالم ٠٠ نعم سيصبح أغنى رجل فى العالم ٠٠ أرجوك لا تعط هذه الوثيقة لأى شخص غيرك ٠٠ اذهب بنفسك !

ثم بدأ عقله يغيب رويدا ٠٠ وفى خلال أقل من ساعة تلاشت أنفاسه ومات ٠٠ لقد أراحه الله بهذه

الميتة الهادئة ٠٠ وحفرت له قبرا عميقا دفنتـه فيـه بعد أن وضعت على صدره حجرين كبيرين حتى لا تصل اليه الكلاب الضالة التى تنبش القبور ٠

وهنا صاح السير هنرى بكل اهتمام :

ـ ولكن ماذا حدث للورقة ٠٠ ؟!

فاجبت :

ـ حاضر يا سيدى ٠٠ اذا كنت تريد أن تعرف ما حدث للورقة فسوف أخبرك به ، بالرغم من انى لم أطلع عليها أحدا من قبل سوى رجل برتغـــالى كان مخمورا أكثر من اللازم ٠٠ وأنا على يقين بأنه قد نسى كل شىء عن هذه الورقة عندما أفاق واستعاد وعيه ٠٠ وعلى أية حال فقد قام هذا الرجل البرتغالى بمساعدتى فى ترجمة الكلام المكتوب باللغة البرتغالية ٠٠ وأنا مازلت احتفظ بالورقة الأصلية فى بيتى ٠٠ ولكنى احتفظ بالنص الانجليزى المترجم فى جيبى ، ومعـــه خريطة تبين معالم مكان ما ٠٠ ها كم هى ٠٠

وهذا هو نصها :

« أنا جوزيه دى سيلفستر .. انى أموت الآن من شدة الجوع بداخل كهف فى الجانب الشمالى من الجبل الذى أطلقت عليه اسم « جبلى صدر شيبا » . ويقع الكهف فى الجبل الجنوبى من هذين الجبلين .. وأنا أكتب هذه الوثيقة فى سنة ١٥٩٠ م .. واستخدم قلما مصنوعا من قطعة من العظام .. أما الصفحة التى أكتب عليها الآن فهى قطعة من القماش مزقتها من قميصى .. أما الحبر الذى أكتب به فهو قطرات من دمى .. واذا عثر خادمى على هذه الوثيقة ، عند حضوره للبحث عنى ، فسوف يقوم بتسليمها فى ديلاجو الى صديقى .... (لا يمكن قراءة الاسم) .. وسيقوم صديقى هذا باطلاع الملك على هذه الرسالة لعله يأمر بأن يرسل جيشا للقيام بالمهمة .. واذا استطاع هذا الجيش أن يجتاز فيافى الصحراء ويهزم قبيلة « كوكوانا » .. فسوف يصبح أغنى ملك على ظهر الأرض .. ويجب أن يرسل مع الجيش بعض

رجال الدين لأن رجال قبيلة الكوكوانا يعرفون أساليب الشيطان وفنونه .. ولقد رأيت بعيني رأسي ملايين من أحجار الماس الثمينة ، مخزنة في غرفة كنـــوز سليمان خلف « الموت الأبيض » .. ولكن « جاجول » الساحرة الصيادة العجوز خدعتني .. ولم استطع الحصول من هذه الكنوز على شيء ، سوى أن أخرج بحياتي سالما .. وعلى كل من سوف يذهب الى هـذا المكان بناء على نصيحتي ، وطبقا لخريطتي ، أن يتسلق القمة الجليدية للجبل الأيسر من جبلي صدر شيبا حتى يصل الى ذروتها وأعلى مكان فيها .. وعند الجانب الشمالي سيجد الطريق العظيم الذى مهده سـليمان بنفسه .. وعلى مبعدة مسيرة ثلاثة أيام في هــذا الطريق ، سيصل الى « قصر الملك » .. وعليه حينئذ أن يقتل جاجول .. وأن يصلي من أجلي .. وداعا !

« جوزيه دي سيلفستر »

وبعد أن انتهيت من قراءة ترجمة الرسالة على السير هنرى والكابتن جود ، أريتهما الخريطة التى أعددتها بنفسى نقلا عن الخريطة الأصلية التى رسمها جوزيه دى سيلفستر بقطرات من دمه •• ومرت فترة صمت مليئة بالتفكير •ثم قال الكابتن جود مندهشا :

ـ لقد درت حول العالم مرتين •• وزرت أغلب الموانى فى الشرق والغرب •• ولكنى لم اسمع فى حياتى قصة كهذه الا فى كتب الأساطير والحكايات الخيالية •• بل وربما لا توجد مثل هذه القصة فى مثل تلك الكتب •• !!

وقال السير هنرى :

ـ انها قصة عجيبة حقا •• ولكنى اعتقد أنها قصة حقيقية •• أليس كذلك ؟!

فقلت وأنا انهض واقفا متاهبا للانصراف :

ـ اذا كنت لا تعتبرها قصة حقيقية يا سير هنرى •• فلتكن هذه نهاية للموضوع ••

وطبقت الرسالة والخريطة ووضعتهما فى جيبى .. ولكن السير هنرى وضع يده الضخمة على كتفى وقال معتذرا :

ـ انى آسف يا مستر كوترمين .. اجلس وارجوك أن تقبل اعتذارى .. أنا واثق تماما فى أنك لا تريد أن تخدعنا .. ولكن القصة تبدو غريبة جدا ولا أستطيع ان أصدقها بسهولة .

فقلت :

ـ انى استطيع أن اريكما الرسالة الأصلية والخريطة الأصلية عندما نصل الى بيتى فى دربان .. ولكنى لم أحدثك حتى الآن عن لأخيك مستر نيفيل .. لقد كنت أعرف الخادم « جيم » الذى اصطحبه فى رحلته الأخيرة .. فهو صياد ماهر من الأهالى المحليين، وكان يتمتع بذكاء غير معتاد . وحين كان مستر نيفيل يتأهب للسفر ذلك الصباح ، كان جيم يقف منتظرا جوار عربتى فسألته :

ـ الى أين ستذهبان يا جيم أنت وسيدك ٠٠ هل هي رحلة لصيد الأفيال ٠٠؟

فاجاب :

ـ لا يا سيدي ٠٠ نحن ذاهبان للحصول علي شيء أثمن بكثير من الأفيال ٠٠

وسألته مرة اخرى :

ـ وما هو هذا الشيء الثمين ٠٠ هل هو الذهب ٠٠ ؟

فقال جيم ضاحكا :

ـ لا يا سيدى ٠٠ هو شيء أثمن من الذهب ٠٠!

ولم أساله بعد ذلك اية أسئلة أخرى حتى لا أبدو متطفلا أكثر من اللازم ٠٠ ولكن جيم قال من نفسه ودون ان اساله :

ـ سيدى ٠٠ سيدى ٠٠ نحن ذاهبان للحصول على الماس !

عندئذ قلت له :

ـ اذن فسوف تذهبان فى الطريق الخطا ·· ان عليكما ان تذهبا فى اتجاه مناجم الماس فى «كمبرلى» ·

فقال جيم بعد تردد :

ـ سيدى ·· هل سمعت عن جبال سليمان ··؟

ـ نعم سمعت عنها قصة غبية يا جيم ··

ـ انها ليست قصة يا سيدى ·· انها حقيقة ·· فقد قابلت ذات مرة امرأة جاءت من منطقة جبال سليمان ·· وقد وصلت هذه المرأة الى هنا فى اقليم ناتال وكان معها طفلها ·· وأخبرتنى ببعض المعلومات ·· ولكن هذه المرأة ماتت الآن ··

ـ جيم ·· سيصبح جسد سيدك طعاما للطيور الجارحة بعد أن يموت ·· وستلقى أنت المصير نفسه الا اذا عثروا فيما بعد على بقايا عظامك ·· !!

ضحك جيم وقال :

ـ ربما سأموت يا سيدى ٠٠ لأن كل انسان مصيره الموت ٠٠ ولكنى سأزور وأعرف مناطق جديدة لم أرها من قبل ٠

ـ اعرف ذلك ٠٠ ولكنك ستسقط فى الطريق وتنتظر ملاك الموت وهو يقبض على رقبتك الصفراء بعد أن يشحب لونك ٠٠ وستعرف عندئذ أية أغنية كنت تغنيها قبل موتك !

وبعد نحو نصف ساعة ، بدأت عربة مستر نيفيل فى التحرك ٠ ولكن جيم جاء ليودعنى وقال :

ـ لا استطيع الرحيل قبل أن أقول لك وداعا يا سيدى ٠٠ ويبدو انك على حق يا سيدى فيما ذكرته لى ٠٠ وربما لن نعود الى هنا مرة أخرى ٠٠ !

ـ ولكن ٠٠ هل سيدك يزمع الرحيل حقا الى جبال سليمان ٠٠ ؟

فاجاب جيم :

ـ نعم ٠٠ أنه سيحاول العثـــور على كنـــوز الماس ٠٠ .

فقلت له :

ـ اوه ٠٠ هل تستطيع يا جيم ان تحمل رسالة الى سيدك ؟ ٠٠ ولكنى أطلب منك أن تعـــــدنى بالا تعطيها له الا بعد وصولكما الى « انياتى » التى تبعد عن هنا بنحو مائة ميل ٠٠ !

ـ أعدك بذلك يا سيدى ٠٠ !

وفى الحال ، أحضرت قطعة من الورق وكتبت عليها : « ٠٠٠ يتسلق القمة الجليدية للجبل الأيسر من جبلى صدر شيبا حتى يصل الى ذروتها واعـــلى مكان فيها ٠٠ وعند الجانب الشمالى ســـيجد طريق سليمان العظيم ٠٠ »

وهنا التفت الى السير هنري وقلت له :

ـ هذا هو كل ما أعرفه عن أخيك .. وأخشى..

وقاطعني السير هنري قائلا :

ـ مستر كوترمين .. انى مصمم على البحث عن أخي حتى أعثر عليه .. أو حتى أعرف يقينا بأنه مات .. فهل تقبل مصاحبتي في رحلة البحث هذه .. واذا تصادف وعثرنا على كنوز الماس فسوف تكون مناصفة بينك وبين الكابتن جود .. فأنا لا أريد منها شيئا.. ويمكنك أن تذكر لنا كل شروطك يا مستر كوترمين.. وبطبيعة الحال فسوف أتكفل أنا بجميع المصاريف والنفقات .

وهنا قمت من مقعدي واتجهت الى أحد جانبى السفينة ، والقيت غليوني المشتعل في البحر ، واخذت أحملق في بقعة النار الحمراء الصغيرة وهي تغوص في الماء كما لو كانت نجمة حمراء يبتلعها الموج .. ثم

عدت بعد ذلك الى حيث يجلس السير هنرى والكابتن جود .. وقلت لهما :

– انى أقبل مصاحبتكما فى هذه الرحـــلة .. ولكنى اقول لكما بكل وضوح انى لا اعتقد اننا سنخرج أحياء اذا حاولنا عبور جبال سليمان .. مـــاذا كان مصير جوزيه دى سيلفستر منذ ثلاثمائة عـام ؟ .. وماذا كان مصير حفيده منذ نحـــو عشرين عاما ؟ .. وماذا كان مصير أخيك .. أقول لكما بوضوح تام ، ان مصيرنا لن يختلف عن مصير كل هؤلاء .. !!

وبالرغم من هذا التحذير ، فلم يظهر أى تعبير عن الخوف أو التردد على وجه السير هنرى ، بل وقال بهدوء :

– علينا أن نجرب حظنا .. وكل ما استطيع أن أقوله ، ان علينا أن نبدأ هذه المغامرة برحلة صيد.. هه .. ما رأيك يا كابتن جود .. ؟

فاجاب الكابتن :

ـ هذا صحيح .. لتكن رحلة صيد مثيرة ومليئة بالأخطار ، لأن علينا نحن الثلاثة أن نتمرن بما فيه الكفاية على مواجهة الأخطار مهما كانت شدتها .. وعلينا أن نبدأ من الآن .. فلم يعد أمامنا سبيل للتراجع !

الفصل الثالث

أمبوبا يلتحق بخدمتنا

وعندما وصلنا الى مدينة دربان ، اصطحبت السير هنرى والكابتن جود الى بيتى .. وهو بيت صغير مبنى من الطوب اللبن وله سقف من الحديد ، ويتكون من ثلاث غرف ومطبخ . وله حديقة لا باس بها .

وهناك ، اشتريت عربة ، وقطيعا من قطعان الزولو يتكون من عشرين رأسا . وكان السير هنرى

قد أحضر معه من انجلترا عـــددا كبيرا من البنادق والمسدسات ، فاخذنا معنـا عشرة بنـــادق وثلاثه مسدسات وكمية مناسبة من الذخيرة ٠

وكنا قد عقدنا العزم على ان نصطحب معنا خمسا من الخدم : سائق ودليل وثلاثة آخرون ٠ وقد عثرت على السائق والدليل دون صعوبة تذكر ٠٠ وكانا اثنين من الزولو أحدهما يدعى « جوزا » والثانى يدعى «توم» وقد صادفت بعض الصعوبة فى العثور على الآخرين ، فقد كان من الضرورى أن يكونوا جميعا من الأقـــوياء الشجعان وأن يكونوا محل ثقة كاملة ٠٠ ذلك لأن عملا مماثلا لما سوف نشرع فيه ، يتطلب رجـــالا من نوع خاص ، لأن حياتنا قد تتوقف عليهم أو على تصرفاتهم ٠

وأخيرا عثرت على اثنين فقط تتوفر فيهما شروطى وهما : « فنتفوجل » وهو صياد مـــاهر ، و « خيفا » وهو رجل من الزولو يعرف قليلا من اللغة لانجليزية ٠٠ وقد حاولنا العثور على رجل خامس يتمتع بالصفات المطلوبة فلم أوفق ٠ لذلك فقـــد قررنا الرحيـــل بدونه ٠

وفى مساء اليوم السابق للسفر ، وبعد أن فرغنا توا من تناول عشائنا ، وقبل أن نغادر مائدة الطعام ، دخل « خيفا » وأخبرنى بأن رجلا من الزولو اسمه « أمبوبا » يريد مقابلتى . فطلبت من خيفا أن يدخله .

ودخل الى الغرفة رجل طويل القامة لطيف المظهر يبلغ نحو الثلاثين من عمره ، وله بشرة فاتحة اللون بالمقارنة ببشرة قبائل الزولو .. ورفع عصاه بالتحية على طريقة رجال الزولو ، وجلس على الأرض فى أحد أركان الغرفة وظل صامتا .

ومنذ الوهلة الأولى ، عرفت انه « كشلا ! » .. أى من « ذوى الأطواق » لأنه كان يضع على رأسه « طوقا » اسود مصنوعا من نوع معين من الشمع المطلى بالدهون ، وكان مثل هذا الطوق يشبك بشعر الرأس ، كعادة قبائل الزولو ، للدلالة على بلوغ بعض الرجال سنا بعينة أو لحصولهم على مكانة أو رتبة معينة . وبدا لى أن وجهه مألوف لدى .

سألته :

ـ حسن •• ما اسمك ؟

فاجاب بصوت بطيء وعميق :

ـ أمبوبا ••

ـ يبدو لى أنى رايتك من قبل •

ـ نعم فقد رايتنى أيها الرئيس فى منطقة « اليد الصغيرة » فى اليوم السابق للمعركة •

وعندئذ تذكرت •• فقد كنت واحدا من الأدلاء الذين صاحبوا الحملة التى قادها « اللورد شلمز فورد » فى حربه التعسة ضد قبائل الزولو •• وقد اشتركت فى تلك الحرب وكنت سعيد الحظ عندما افلت من القتل وخرجت سالما •• وتذكرت أن فى الليلة السابقة للمعركة ، جاءنى هذا الشخص الذى كان على رأس جماعة من الأهالى المحليين الأصدقاء . ونبهنىالى أنه لا يطمئن الى كفاية الحماية التى هيأناها •

لمعسكرنا .. فأمرته بأن يلزم الصمت ، ويترك مثل هذه الأمور لمن يفهمون فيها .. وقد تبين لى فيما بعد صدق كلامه وصحة توقعاته ..

وسألته مرة أخرى :

ـ لقد تذكرتك .. والآن ماذا تريد .. ؟

ـ لقد سمعت أيها الرئيس أنك تنوى القيام برحلة عظيمة نحو الشمال .. ومعك رؤساء من البيض الذين قدموا من وراء البحار .. فهل هـــذا الكلام صحيح .. ؟

ـ نعم .. صحيح !

ـ لقد سمعت أيضا انك ستقوم برحلة قمرية الى المنطقة التى تقع خلف اقليم « مانيكا » .. فاذا كنت تنوى السفر الى ذلك المكان البعيد .. فأنا اريد ان أسافر معك .. انى لا أرغب فى الحصول على أجر .. ولكنى رجل شجاع استحق مكانتى كمـــا استحق نصيبى من اللحم .. هذا هو كلامى !!

لا شك فى أن هذا الرجل المتميز يختلف كثيرا عن قرنائه من رجال الزولو • ولكنى لم استطع أن أثق بسرعة فى عرضه للعمل معنا دون الحصول على اجر •• واخبرت السير هنرى والكابتن جود بما قاله هذا الرجل ، وطلبت مشورتهما فى أمره •

وسالنى السير هنرى أن اطلب من الرجل أن ينهض واقفا •• وفعل أمبوبا ما طلبته منه ، فهب واقفا وخلع المعطف الطويل الذى كان يرتديه وبدا أمامنا عارى الجسم الا من قطعة من القماش كان يلفها حول خصره ، وقطعة من الدوبارة شبك بها نابا من أنياب الأسد كانت تتدلى من رقبته •

فى الحقيقة كان مظهره لطيفا للغاية ، بل ولم أر فى حياتى من الأهالى المحليين رجلا الطف منه •• كان طوله يصل الى نحو ستة أقدام وثلاث بوصات •• وكان عريض المنكبين قوى الجسم • وبدت بشرته فى ضوء الحجرة أفتح لونا وأقل سمارا ، عدا بعض

الندوب السوداء الصغيرة التى كانت منتشرة فى بعض أجزاء جسمه من أثر جروح بالسهام التى رشق بها فيما مضى والتى تركت آثارها بعد أن اندملت ٠

ودار السير هنرى حول أمبوبا الذى كان يقف مستقيما ٠٠ وأخذ يتأمله بعناية ويتأمل على وجه الخصوص ملامح الفخر التى تتبدى فى تقاطيع وجهه اللطيف ٠ **وعلق الكابتن جود على ذلك بقوله :**

ـ انهما متشابهان من حيث القوة وضخامة الجسم !

وقال السير هنرى محدثا امبوبا باللغة الانجليزية :

ـ لقد أعجبت بك يا مستر أمبوبا ٠٠ وسأتخذك خادما خاصا لى ٠٠

ويبدو أن امبوبا فهم مقصده ·· اذ همهم بلغة الزولو قائلا : لا بأس ·· ثم أشار الى ضخامة جسمه وضخامة جسم السير هنرى والى القوة التى يتمتعان بها وقال بفخر :

ـ نحن رجال حقيقيون ·· أنا وأنت !!

الفصل الرابع

قرية سيتاندا

أنا لا أريد أن أصف جميع التفاصيل عن الأحداث التى صادفتنا عبر رحلتنا الطويلة الى قرية «سيتاندا» .. وهى رحلة يزيد طولها عن ثلاثة آلاف من الأميال.. وقد قطعنا الثلاثمائة ميل الأخيرة منها سيرا على الاقدام بسبب انتشار ذبابة « تسى تسى » ولدغتها الشهيرة تعنى الموت بالنسبة لجميع أنواع الحيوانات فيما عدا الحمير وبنى الانسان .

لقد غادرنا دربان فى نهاية شهر يناير ، ووصلنا الى مشارف قرية سيتاندا فى الأسبوع الثانى مـــن شهر مايو ·· وهناك حططنا الرحال وأقمنا معسكرنا ·

وعندما وصلنا الى « انياتى » لم يبق معنا سوى اثنى عشر راســـا من القطيع الذى كان يتكون مـن عشرين رأسا ، والذى اشتريته من دربان قبل بداية الرحلة ·· وفى انياتى تركنا العربة وبقية القطيع فى رعاية « جوزا » و « توم » ·· السائق والدليل اللذين كانا محل ثقتنا · ثم واصلنا الرحيل ومعنا أمبـــوبا وخيفا وفنتفوجل ، بالاضافة الى ستة من الرجـــال استأجرناهم من المنطقة لحمل امتعتنا وأدواتنا ·· ومن انياتى بدأنا رحلتنا سيرا على الأقدام حتى وصلنا الى قرية سيتاندا ·

وقد لزمنا الصمت جميعا طوال تلك الرحلة ·· واعتقد أن كلا منا كان يفكر فيما اذا كان ســيرى عربتنا مرة أخرى فى يوم ما ·· أنا شخصيا كنت اعتقد ان ذلك ضرب من المستحيل ·

كنا نسير صامتين لم ينطق احدنا بكلمـــة ..
وفجأة انطلق صوت أمبوبا الذى كان يسير فى مقدمة طابورنا ، باغنية من أغانى قبيلة الزولو .. أغنيـــة تتحدث عن مجمــوعة من الرجـــال الشــجعان الذين تعبوا من الحياة وهدوء الأحداث والأشياء .. فانطلقوا الى فيافى الصحراء المترامية ليبحثوا عن أشياء جديدة .. أو ليموتوا هناك..وبعد أن سافروا بعيدا وتوغلوا فى داخل الصحراء .. فلم يجدوها صـــــحراء على الاطلاق .. بل وجدوها مكانا جميلا .. فيه الكثير من الزوجات الصغيرات ، والكثير من قطعان الماشـــية ، والكثير من الحيوانات الوحشية الصالحة للصـــيد ، والكثير من الأعداء الذين يستحقون القتل .. !

وقد ضحكنا جميعاً عند سماع تلك الأغنية ..
والحقيقة أن أمبوبا كان رفيقا يفيض بالبهجة .

ومع ذلك فقد استطعنا أن نصطاد تسعة افيال خلال تلك الرحلة . وكان أحد هذه الأفيال قد تتبع خطوات الكابتن جود . وتعثرت قدم الكابتن فسقط

على الأرض أمام الفيل الهائج ، وتوقعنا جميعا مصرع الكابتن في غمضة عين ·· ولكن خيفا رجـل الزولو الشجاع ، تقدم ورفع رمحه في وجه الفيل ، وغرس الرمح بكل قوته في خرطومه ، فازداد هيـاج الفيل المتوحش وأمسك بخيفا وداسه بقدميه حتى مزقه الى قطعتين ! ·· وانطلقنا جميعا صـــــوب الفيل القاتل واطلقنا عليه نيران بنادقنا مرارا حتى سقط ميتا ··

وقام الكابتن جود من عثرته ، وكان حزينا جدا على الشاب الشجاع الذى ضحى بحياته من أجل انقاذه ·· وتقدم أمبوبا الى جثة الفيل الضخم القتيل ، والى جثة خيفا الشجاع · وقال بثبات :

ـ لقد مات خيفا ·· ولكنه مات ميتة الرجال !

وواصلنا مسيرنا بعد ذلك حتى وصلنا الى قرية سيتاندا ·· وهى قرية صغيرة تتناثر فيها جهة اليمين أكواخ الأهالى مع بعض حظائر الماشية المبنية بالحجارة، وبعض الحقول المزروعة بالحبوب ·· وخلف القـرية



وداس الفيل بقدميه على الرجل المسكين.

تمتد مساحات شاسعة من المروج العشبية .. وعلى يسار موقع القرية تمتد الصحراء وكأنها بلا نهاية .

وبجوار معسكرنا يمتد مجرى صغير من الماء .. وأمامه منحدر مرتفع .. وعلى سطح هذا المنحدر منذ عشرين عاما شاهدت المسكين سيلفستر وهو يزحف على يديه وقدميه وقد ساءت حاله بعد محاولته الفاشلة في الوصول الى كنوز سليمان .. وخلف هذا المنحدر تمتد صحراء قاحلة ليس فيها قطرة ماء واحدة .

وبينما كان قرص الشمس يختفي رويدا رويدا وراء الأفق ، تركت الكابتن جود لأداء بعض الأعمال الضرورية لشئون معسكرنا الصغير . واخذت معي السير هنري وصعدنا الى قمة المنحدر .. وأخذنا نحملق في الصحراء الممتدة .. وكان الجو صافيا ، ولذلك فقد استطعت أن أرى التكوينات الزرقاء الباهتة لقمم جبال سليمان عند الأفق البعيد . وأشرت اليها قائلا:

ـ ها هي ذي هناك عند الأفق..ان هناك جدارا عاليا يحيط بكنوز سليمان .. ويعلم الله اذا كنا سنستطيع أن نتسلقه .

فقال السير هنرى بصوت يملاه الهدوء والثقة :

ـ من المفروض أن أخى هناك ·· واذا كان الأمر كذلك فسوف أعثر عليه بأية طريقة ·

فقلت :

ـ انى آمل آن يتحقق ذلك ·

واستدرنا عائدين الى المعسكر ، ولكننى اكتشفت اننا لم نكن وحدنا ·· فقد شاهدت أمبوبا واقفـــا خلفنا وهو يحملق فى قمم تلك الجبال البعيـــدة · وقال وهو يشير الى الجبال برمحه الكبير :

ـ هل هذه هى الأرض التى سترحلون اليها··؟!

فاجابه السير هنرى :

ـ نعم يا آمبوبا ·· سنرحل الى هناك ·

ـ ولكن يا سيدى الصحراء واسعة جدا وليس فيها ماء ·· والجبال عالية جدا ومغطاة بالثلوج ··

ولا يستطيع أى رجل أن يعرف ماذا يوجد وراء المكان الذى تغرب فيه الشمس ·· انها رحلة بعيدة ··

فقال السير هنرى بثقة :

ـ نعم ··· أنها رحلة بعيدة ·· وأنا ذاهب الى هناك للبحث عن أخى ·· وليست هناك رحلة على وجه الأرض يعجز الانسان عن القيام بها اذا كان قد عقد العزم على ذلك ·· وليست هناك جبال لا يستطيع الانسان أن يصعد الى قممها ·· وليست هناك صحار لا يستطيع الانسان أن يجتازها ·· مادام قد وضع روحه على كفه ·· دون أن يبالى بالموت أو الحياة ·· فكل شىء يجرى طبقا لأوامر السماء ·

فقال امبوبا مؤكدا اقتناعه :

ـ هذا كلام كبير يا سيدى ·· ربما سأبحث أنا ايضا عن أخ لى وراء تلك الجبال !

عندئذ تدخلت فى الحديث الذى كان يدور بين الرجلين ، وسألت امبوبا :

ـ ماذا تعنى بذلك .. وهل تعرف شيئا عن تلك الجبال .. ؟!

ـ أعرف القليل .. هناك أرض غريبة وراءها .. ارض تعيش فيها الساحرات والاشياء الجميلة.. وفيها رجال شجعان وأشجار وجداول ميـاه وثلوج تغطى الجبال .. وهناك أيضـــا طريق عظيم أبيض اللون .. لقد سمعت عن ذلك .. ومن يعيش لىرى ، سيرى الكـثير .. !

الفصل الخامس

عبور الصحراء

وفى اليوم التالى اعددنا عدتنا وجهزنا انفسنا لبدء الرحيل • وبطبيعة الحال فقد كان من المستحيل أن نحمل معنا كل حاجياتنا ومعداتنا اثنـاء اجتيازنا للصحراء ، لذلك فقد اتفقنا مع رجل عجوز من الأهالى يملك كوخا مجـاورا على أن يحتفظ لنـا ببعض هذه الحاجيات والمعدات لحين عودتنا •

أما المعدات التى أخذناها معنا فقد كانت خمس بنادق وثلاثة مسدسات وخمس زجاجات كبيرة مملوءة بالماء ، وكمية من اللحم المقــدد المجفف فى الشمس اشتريناها بخمسة وعشرين جنيها ·· هذا بالاضافة الى مجموعة من السكاكين وبوصلة وعلب ثقاب وبعض الأدوات الصغيرة الأخرى ·

واتفقت مـع ثلاثة مــن الأهـــالى المحليين على مصاحبتنا خلال العشرين ميلا الأولى من الرحلة ، وهم يحملون أوعية كبيرة للماء ، وذلك في مقابل اعطـاء سكين صيد كبيرة لكل منهم ·· وكان هـدفى مـن ذلك هو ضمان اعادة ملء زجاجاتنا بالماء بعد انتهاء مسيرة الليلة الأولى فى الرحلة ·

وكانت خطتنا أن تواصل السير أثنـــاء طراوة الليل ، وأن نستريح أو ننام خلال النهار · وعنـــد غروب الشمس تناولنا وجبة طيبة من اللحم وشربنا بعض أكواب من الشاى ·· وكان هذا آخر شـــاى شربناه طوال رحلتنا ·

وبعد أن أعددنا كل شيء وأصبحنا مستعدين تماما لبدء الرحيل ، جلسنا فى انتظار بزوغ القمر ٠٠ وفى حوالى الساعة التاسعة ظهر قرص القمر بكل بهائه وروعته ، ونشر أشعته الفضية فوق ربوع الصحراء الموحشة الممتدة أمامنا ٠٠

وفى لحظات قليلة وقفنا نحن الثلاثه ، وتقدمنا امبوبا ورمحه فى يده وبندقيته معلقة على كتفه ٠٠ ومن خلفنا تجمع فنتفوجل والأجراء الثلاثة الذين يحملون اوعية الماء ٠٠ وقبل أن نخطو الخطوة الأولى فى رحلتنا ، **صاح بنا السير هنرى بصوته العميق :**

ـ أيها الرجال ٠٠ نحن مقدمون على رحلة من اغرب رحلات الانسان على وجه الأرض ٠٠ ولكن قبل أن تبدأ خطوتنا الأولى ، علينا أن نصلى لله الذى بيده مقادير البشر ، لكى يرشدنا ويبارك خطانا طبقا لمشيئته وقدرته !

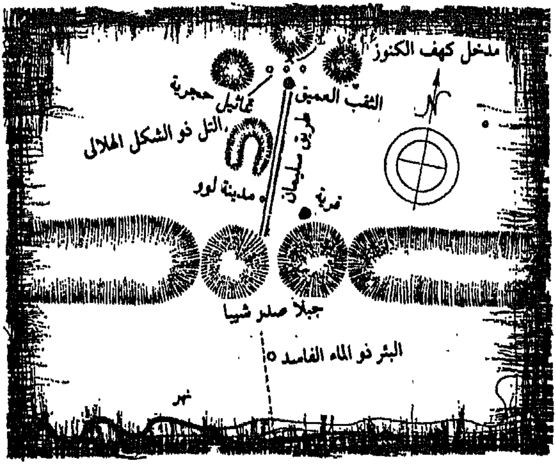
ثم خلع قبعته ، وأخفى وجهه بيده ، واستغرق فى الصلاة لمدة دقيقة أو نحو ذلك ، وكذلك فعلت انا وفعل الكابتن جود ٠٠ **وبعدئذ صاح السير هنرى :**

ـ والآن أيها الرجال .. الى الأمام سر !!

وتحركنا ..

ولم يكن معنا دليل يرشدنا ، ســـوى قمم تلك الجبال البعيدة ، والخريطة القديمة التى أعدها جوزيه دى سيلفستر .. واذا قدر لنا ألا نعثر على « البئر ذى المياه الفاسدة » الذى يتوسط الصحراء طبقا لما هو مرسوم بالخريطة فسوف يكون هذا معناه اننا سنموت عطشا . وأنا شخصيا كنت اعتقد أن العثور على مثل هذا البئر وسط هذا البحر من الرمال الممتد بلا أول ولا آخر يعتبر أمرا بعيد الاحتمال ، حتى ولـــو كان جوزيه دى سيلفستر قد حدد مكان البئر على الخريطة بطريقة صحيحة ، فمن المحتمل أن يكون البئر قد جف تماما وتبخر ماؤه بفعل أشعة الشمس الحارقة طوال كل تلك السنين ، ومن المحتمل أيضا أن تضيع كل معالم البئر اذا غطتها الرمال ..

سرنا صامتين .. وظلالنا التى يصنعها نور القمر تمتد أمامنا على صفحة الرمال.. ولفنا الهدوء باحساس



خريطة جوزيه دي سيلفستر

كثيف بالوحدة والشعور بالانعزال ·· لذلك فقد بدأ الكابتن جود يصفر بفمه لحن أغنية مبهجة · ولكن سرعان ما تبين له غباء هذا الصفير وسط هذا المكان المترامى الأطراف ·· فكف عن الصفير فورا ··

وبعد مسيرة عدة ساعات ، بدأ الأفق الشرقى يسطع بلون أحمر خفيف كلون خد العذراء الخجلى ·· ثم ظهرت بعد ذلك على صفحة السماء شعاعات باهتة من اللون الأصفر الذهبى ·· وبدأ نور الفجر يزحف ببطء فوق الصحراء كلها ··

وواصلنا المسير ساعة أخرى الى ان شاهدنا مجموعة من الصخور الضخمة وسط بحر الرمال ·· فاتجهنا فورا اليها ، وكانت بينها صخرة كبيرة تبرز الى الخارج أكثر من بروز الصخور الأخرى ، وبالتالى فهى تكفل لنا حماية طيبة من أشعة الشمس وحرارتها ·· وتحت هذه الصخرة البارزة جلسنا ·· وشربنا بعض الماء ، وأكلنا بعض اللحم المجفف ··ثم رقدنا·· وسرعان ما استغرقنا فى نوم عميق ·

وحوالى الساعة الثالثة من بعد الظهر ٠٠استيقظنا جميعا ٠٠ ولاحظت أن الأجزاء الثـلاثة الذين كانـوا يحملون اوعية الماء يستعدون لرحلة العودة ٠٠ لقـد راوا من الصحراء مسافات طويلة واكتفوا بذلك ٠٠ وكانوا غير مستعدين للسير الى الامام خطوة واحدة بعد كل هذه المسافات الطويلة ، حتى ولو حصلوا عـلى المزيد من سكاكين الصيد والهدايا الأخرى ٠٠

وعلى هذا فقد شربنا بنهم وملأنا بطوننا بالمـاء بقدر ما نستطيع ونحتمل ، وملأنا زجاجاتنا أيضا ٠٠ ثم أخذنا نرقب الأجزاء الثلاثة وهم يشرعون فى رحلة العودة ٠

وفى الرابعة والنصف عاودنا المسير والتقدم الى هدفنا المنتظر ٠٠ لم يكن هناك أى أحياء غيرنا فى كل هذا الاتساع الشاسع ٠٠ لا حيوان ولا طير ٠٠ سوى أسراب الذباب التى كانت تهجم علينا كالجيـوش الجرارة ٠

وعند غروب الشمس توقفنا عن المسير حتى يشرق القمر .. وواصلنا المسير طوال الليل حتى أشرق نور الشمس ، فتمددنا على صفحة الرمال ونمنا فى الصحراء بلا حماية من أشعة الشمس الحارقة وفى الساعة السابعة صباحا استيقظنا فزعين قبل أن تشوى الحرارة الشديدة لحم أجسادنا .. ولا أدرى كيف تحملنا عذاب هذا النهار الحار .. وفى الساعة الثالثة بعد الظهر رأينا أننا لم نعد نحتمل المزيد من هذا العذاب . لذلك فقد قررنا مواصلة السير الى الأمام ولو بخطوات بطيئة لا تسبب لنا المزيد من التعب .

وبمجرد غروب الشمس توقفنا ونلنا قسطا من النوم حتى ظهر القمر ، فعاودنا المسيرة مرة أخرى .. وكنا نعانى كثيرا من شدة العطش .. وبدأت قوانا تخور حتى أصبحنا عاجزين عن أن يحدث أحدنا الآخر .

وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، توقفنا عند سفح تل صغير .. وبسبب احساسنا المرهق

بشدة العطش ، شربنا آخر قطـــرات من الماء كنـــــا نحملها ·· وارتمينا على الرمال ممـــددين نحـــاول النوم ٠

وقبيل أن أغمض عينى بلحظة ·· سمعت امبوبا يقول لنفسه :

ـ اذا لم نعثر على ماء ·· فسوف نموت كلنـــا قبل أن يهل القمر فى الليلة القادمة !

الفصل السادس

الماء ·· الماء !!

استيقظت بعد نحو ساعتين ولم اســتطع أن أعاود النوم مرة أخرى ·· لقد حلمت بأنى كنت أسبح فى مجرى من الماء الصافى ·· وأفقت من الحلم لأرى نفسي وسط جفاف الصحراء ، وتذكرت أننا اذا لـم نعثر على أى مصدر للماء فى هذا اليوم فسوف نلقى حتفنا جميعا ··

واستيقظ الآخرون واحدا بعد الآخـر ، وبدأنا نتداول في هذا الموقف الخطير · وقال السير هنرى :

ــ حتما سنموت اذا لم نعثر على الماء اليوم ٠٠ !

وقلت :

ــ اذا اعتمدنا على خريطة سيلفستر ٠٠ فلابد أن يكون هناك مصدر للماء بالقرب من هذا المكان !

غير أن أحدا لم يعد يثق فى تلك الخريطة ٠٠

وعندما ظهرت تباشير الضــــوء الاولى فى أفــق السماء ، رأيت فنتفوجل وقد هب واقفا ورفع أنفــه نحو السماء ، وأخذ يتشمم الهواء فى مختلف الانحاء ٠ ثم قال فجاة :

ــ انى أشم رائحة الماء ٠٠ هناك مــــاء فى مكان قريب ٠٠ !!

ونظرت حولى فى كل مكان ٠٠ فلم أر ســـوى « جبلى صدر شيبا » اللذين يبعدان عنا بنحو خمسين ميلا ٠٠ ويبعد كل جبل منهما عن الجبل الآخر مئــات الأميال ويحصران بينهما سلسلة جبال ســـليمان ٠٠ فقلت لفنتفوجل :

ـ يا لك من انسان ساذج ٠٠ ليس هناك اى اثر للماء في تلك المنطقة ٠

ولكن فنتنفوجل عاود القول بثقة :

ـ لقد شممت رائحة الماء يا سيدي !

واثناء ذلك الحوار كان السير هنري يتحسس باصابعه شعر لحيته الشقراء ويفـــكر بعمـــق ٠ وقال في النهاية :

ـ ربما يوجد الماء على قمة ذلك التل !

وبالرغم من احساسنا باليأس ، تسلقنا صفحة الرمال المنحدرة ، وصعدنا صاغرين الى أعلى التل ٠٠ وكم كانت المفاجأة مذهلة ٠٠ لقد عثرنا على ماء يملا فجوة عميقة من شقوق التل !

شربنا وارتوينا وملأنا بطوننا عن آخرها ، وملأنا زجاجاتنا ، واستعدنا قدرتنا على مواصلة الرحيل عند شروق القمر ٠

وعندما وصلنا الى سفح الجبل بعد رحلة شاقة مضنية ، نفد كل ما معنا من الماء • ولكن لحسن حظنا. عثرنا فى جانب من سفح الجبل على بعض أشجار الفواكه البرية •

وكلما صعدنا الجبل ، كانت البرودة تزداد وتزداد ، حتى أصبحنا نعانى من شدة البرد القارس، خصوصا اثناء الليل •• ونفد ما معنا من طعام ، وبدات قوانا تخور ••

وفى الثالث والعشرين من شهر مايو ، وصلنا الى منطقة الجليد ، وبدأنا ننزلق ونزحف ببطء ، ونستريح من شدة العناء بين حين وآخر • وقبيل مغرب الشمس بقليل ، وجدنا أنفسنا أمام الجبل الأيسر من « جبلى صدر شيبا » •• **وهنا قال الكابتن جود بصوت واهن :**

ـ اعتقد اننا الآن بالقرب من الكهف الذى كتب فيه سيلفستر العجوز رسالته ورسم خريطته !

فقلت على الفور :

ـ نعم ·· اذا كان هناك كهف على **الاطلاق** ·· واعتقد اننا اذا لم نعثر على هذا الكهف قبـــل حلول الظلام ، فسوف نموت مجمدين فى هذه الثلوج ·· !

وعاودنا الصعود فى صمت ، **وفجاة امســـك امبوبا بذراعي وصاح :**

ـ أنظر !!

فنظرت ·· ورأيت شيئا يشبه الثقب على جانب من كتل الثلج التى تغطى الجبل ·· **وقال امبوبا بفرح :**

ـ هذا هو الكهف ·· هذا هو الكهف !

وأسرعنا الى هناك بكل قوانا ·· ووجدنا الثقب يؤدى فعــلا الى فتحة الكهف ·· ولكن الشمس كانت قد غربت تماما ، ولم تترك لنا سوى ظلام دامس · ومع ذلك أخذنا نزحف ببطء حتى دخلنا الكهف المظلم . وبدأنا نستريح ونلتقط أنفاسنا · وحتى نلتمس بعض

الدفء ، تجاورنا وتلاصقت أجسادنا ، وشرعنـــا في النوم ··

ولكن ·· من ذا الذي يستطيع أن ينام في مثل هذا البرد القارس الذي يعض الأجساد عضا ؟! ·· لا أحد ·· ومرت الساعات ساعة تلو أخرى ·· وكان البرد يشتد في كل لحظة !

وقبيـل مشرق الشمس ، لاحظت أن أنفـاس فنتفوجل كانت تزداد بطئا ·· فقد كان ينام بجواري وقد التصق ظهره بظهري لندفيء بعضنا بعضا ·· ثم حلت فترة صمت مطبق ، وأحسست كأن ظهره قد بدأ يزداد برودة كما لو كان لوحا من الثلج ··

وفي ضوء الشمس الذي بدأ يتسلل الى داخـل الكهف ، تبين لنا أن فنتفوجل قد مات ·· وتركناه حيث كان ، والحزن عليه وعلى أنفسنا يكاد يمزقنا ·· وفجأة سمعت صوتا يصيح ·· فالتفت وادرت رأسي ورأيت عجبا ·· هناك في آخر مكان بداخـل الكهف

رأينا جثة لرجل آخر .. كان يبدو جالسا مستندا الى جدار الكهف ، ورأسه مائل على صـدره ، وذراعـاه الطويلتان مسترخيتان الى جانبيه !

وتقدمت الى الرجل الميت وبدأت أفحصه .. كان طويل القامة كبير الأنف وله لحية سوداء كثة وشعر خليط من الأسود والرمادى . وكانت بشرته الصفراء قد التصقت بعظامه .. وكان جسده كله مجمدا وجافا للغاية .. وسألت رفاقى :

ـ ترى .. من يكون هذا الرجل .. ؟

فقال الكابتن جود بسرعة :

ـ من يكون ؟ .. انه جوزيه دى سيلفستر .. لاشك فى ذلك .. !

فصحت على الفور :

ـ مستحيل .. ان جوزيه دى سيلفستر قد مات منذ ثلاثمائة عام !

فقال الكابتن :

ـ ولم لا ٠٠ ماذا يمنعه لكى يبقى مجمدا هكذا لثلاثة آلاف عام تالية ؟ ٠٠ أنظر ٠٠ ها هى قطعة العظم التى كتب بها جوزيه دى سيلفستر رسالته ورسم خريطته !

وقال السير هنري وهو يشير الى أثر جرح صغير كان على الذراع اليسرى لجثة الرجل :

ـ هذا صحيح ٠٠ وهذا هو المكان الذى حصل منه على قطرات الدم التى كتب بها الرسالة ورسم الخريطة !

وهكذا تركنا الجثتين فى النهاية : سيلفستر المغامر الجسور والمسكين فنتفوجل ٠٠ تركناهما مجمدين ليبقيا هناك الى ما لا نهاية ٠٠ وبدأنا نزحف خارجين من الكهف الى ضوء الشمس الساطع ، ونحن نسأل أنفسنا : ترى ٠٠ بعد كم من الساعات سنلقى نحن مثل هذا المصير التعس ٠٠ ؟!



جوزيه دى سيلفستر مجمدا فى الكهف

الفصل السابع

طريق سليمان

سرنا بجانب طرف الجبل ‥ وبدأت الشبورة تتلاشى رويدا ‥ وبدأت الأشياء تبدو بوضوح ‥ ونظرنا الى أسفل ، فرأينا مجرى صغيرا من الماء الرائق ينساب من حافة كتلة كبيرة منحدرة من الثلج الذى يغطى الجبل ، ورأينا مساحة كبيرة من العشب الأخضر ‥ وعلى جانب غدير الماء ، رأينا مجموعة من الغزلان الجبلية الكبيرة وقد وقفت لتشرب ٠

وفى الحال ·· امتلأت قلوبنا بالفرح والبهجة ·· فهاهى وجبة طيبة من الطعام ، لو استطعنا الحصول عليها ·· وصوبنا بنادقنا بدقة وعناية ، لأن الفشل فى الاصابة سيعنى موتنا جوعا ·· واطلقنا النار !
··

وعندما انقشع دخان البارود رأينا غزالا كبيرا يرقد على ظهره وقد أصيب فى الصميم ·· وصحنا جميعا بصيحات الانتصار والفرح ·· فقد انقذنا أنفسنا ولن نموت جوعا ·

وانزلقنا ببطء على كتلة الثلج المنحدرة ، الى أن وصلنا الى صيدنا الثمين ·· ومن شدة ما كنا نعانيه من الجوع ، وجدنا أنفسنا فى خلال عشر دقائق ، نلتهم لحم الغزال نيئا ·· .

أكلنا حتى شبعنا ·· وشربنا حتى ارتوينا ·· واستعدنا أرواحنا ·· وعادت الينا قوانا وحيويتنا ·· وبدأت معالم المكان تتضح أمامنا أكثر وأكثر ·· فهناك الوادى الأخضر الواسع الذى يقع أسفل موقعنا بنحو خمسة آلاف قدم ·· والذى يمتد أميالا وأميالا ··

وهناك غابة كثيفة ·· ونهر كبير ينساب عى مجراه الفضى الذى يتلألأ فى ضوء الشمس ·· وفى الجانب الأيسر من الوادى تمتد مراع خضراء شاسعة ترعى فيها مواش وأبقار لا حصر لها ·· أما الجانب الأيمن فتتخلله بعض التــلال زرعت على سفوحهـــا حقــول الحبوب ·· !

اخذنا نحملق صامتين فى هــذا المنظر الجميل الرائع وقد عقدت الدهشة ألسنتنا فلم ينبس أحدنا بكلمة ·· الى أن قطع السـير هنرى هـذا الصـــمت وتساءل :

ـ هل تحدد الخريطة المكان الذى يبدأ فيه طريق سليمان ·· ؟

أومأت برأسى وما زلت مشدودا الى المنظر الجميل الذى لم أر مثله فى حياتى ، وبعد لحظات أشار السير هنرى تجاه اليمين وصاح :

ـ انظروا ·· ها هوذا هناك !!

ونظرت أنا والكابتن جود الى حيث أشار السير هنري ، فرأينا طريقا رائعا منحوتا فى صخر الجبل ٠٠ ويبلغ اتساعه نحو خمسين قدما !

وقال الكابتن جود :

ـ ان أقرب طريق للوصول اليه هو أن نلف الى اليمين ٠٠ أليس من الأفضل ان نبدأ الآن فورا ٠٠ ؟!

وهبطنا الى طريق سليمان وبدأنا السير فيه ٠٠ عن طريق جسر جميل رائع مبنى بالصخور ٠٠ وكانت بعض أجزاء الطريق منحوتة فى صـــخر الجبل ، وقد نحتت على الجدران من الناحيتين مناظر غريبة لرجال مسلحين يقودون مركبات حربية ٠٠ ومناظر معركة ٠٠ ومناظر لجماعات من الأسرى ٠

وفى منتصف النهار ، وصلنا الى غابة صغيرة على جانب الطريق يتخللها غدير من الماء الرائق ٠٠ وهناك جلسنا لنستريح ولنتناول طعامنـــا ٠٠ ثم أشعلنـــا الغلايين وبدأنا ندخن ٠٠

ولكنى بعد لحظات ·· لاحظت ان الكابتن جود غير موجود معنا ·· فقمت على الفور لأعرف أين ذهب ولأطمئن عليه فى الوقت نفسه ·· ورأيته جالسا على شاطىء الغدير يجفف جسمه بعد أن أخذ حماما ·· ولم يكن يرتدى سوى قميصه فقط بعد أن خلع جميع ملابسه الأخرى ليغسلها فى ماء الغدير · وقد لاحظت انه يتحسر فى حزن وهو ينظر الى الثقوب والتمزقات التى انتشرت فى ملابسه التى كانت فى يوم ما أنيقة مهندمة ·· ثم أخذ يلمع حـذاءه ·· وبعد ذلك بدأ يمشط شعر رأسه ·· وفجأة ! ·· رأيت سهما ينطلق مثل خط من الضوء يمر بجانب رأسه !!

وهب الكابتن جود واقفا بجانبى ·· وعلى بعد عشرين ياردة ، رأينا مجموعة من الرجال !!

كانوا طوال القامة بشكل أكثر من المعتـاد ·· وكانت بشرتهم السمراء تلمع كالذهب ·· وبعضهم كان يضع ريشات سوداء فوق رأسه ·· وكانوا جميعا يلبسون أردية مصنوعة من جلود الحيوانات ·· وفى

مقدمتهم يقف فتى صغير لا يتجاوز عمره سبعة عشر عاما ‏٠٠‏ وكان لم يزل ممسكا بالقوس الذى رمى به سهمه الطائش ٠

وتقدم محارب عجوز ممن كانوا مع الصبى وقال له بعض كلمات تقدموا بعدها الينا وهم يتربصون بنا ‏٠٠‏ وفى الحال أمسك كل من السير هنرى والكابتن جود ببندقيته وصوبها نحو صدور الأهالى الذين بدوا كما لو كانوا لا يعرفون ما هى البنادق ‏٠٠‏ فقد ظلوا يتقدمون نحونا بلا خوف من اطلاق النار ‏٠٠‏ **فصحت فى رفاقى :**

ــ اخفضوا بنادقكم ودعونى أتصرف ‏٠٠‏ !

وناديت على المحارب العجوز ، **وقلت له** بلغة **الزولو :**

ــ مرحبا ‏٠٠‏

ويبدو انه قد فهمنى فقد رد التحية بلغة الزولو ذات اللهجة القديمة ‏٠٠‏ **ثم قال بنفس اللهجة :**

ـ من انتم ‥ ومن أين جئتم ‥ ولماذا نرى ثلاثة منكم ذوى وجوه بيضاء بينما رابعكم له وجه مثل وجوه أبناء أمهاتنا ‥ ؟!

طبعا كان يقصد برابعنا وجه أمبوبا الذى كان يبدو ذا ملامح مثل ملامحهم ‥ **وعلى أية حال فقد قلت له :**

ـ اننا غرباء ‥ وقد جئنا نريد السلام !

فقال على الفور :

ـ انت كاذب ‥ ان الغرباء لا يستطيعون اجتياز الجبال وعبورها ‥ ان الكذب لن يفيدكم ‥ فمادمتم غرباء فيجب قتلكم على الفور ‥ ان الغرباء غير مسموح لهم بأن يعيشوا على أرض « كوكوانا » ‥ هـذا هو قانون الملك ‥ فاستعدوا للموت أيها الغرباء !

ورأيتهم يتحسسون سكاكينهم وهم يتقدمون نحونا ‥ **وسألنى الكابتن جود :**

ـ ماذا يقول هذا الرجل ؟

فقلت له بهدوء :

ـ يقول انهم ينوون قتلنا !

فهمهم الكابتن قائلا :

ـ يا الهى !!

وكعادته حين تضطرب أعصابه ، أخرج الكابتن من فمه طاقم أسنانه العلوى وقذفه فى الهواء ، ثم التقطه بأصابعه وأدخله الى فمه مرة أخرى ٠٠ وكانت هذه الحركة ضربة حظ لا مثيل لهـا ، اذ فى اللحظة التالية مباشرة صاح الرجال صيحة رعب وتراجعوا الى الخلف خطوات وقد جحظت عيونهم من شدة الخوف والذعر !

وهمس السير هنرى قائلا :

ـ لقد خافوا من طاقم أسنانه ٠٠ اخرجه من فمك مرة أخرى يا كابتن ٠٠ أخرجه بسرعة !

وبسرعة أطاع الكابتن الأمر وأخرج طاقم أسنانه وأخفاه فى يده ٠٠ وهنا تقدم الينا المحارب العجوز

بخطوات بطيئة وهو مذهول مما رأى ‥ ويبدو أنه قد نسى الآن كل ما كان يتعلق بقتلنا ‥ وأشار الى الكابتن جود الذى لم يكن يرتدى سوى قميصه وحذائه وصاح متسائلا :

ـ كيف أيها الغرباء ‥ كيف يرتدى هذا الرجل ما يغطى صدره ويترك ساقيه عاريتين ‥ ولماذا يرتدى عينا تبرق هكذا فى ضوء الشمس ‥ وكيف تتحرك أسنانه من تلقاء نفسها ‥ ؟!

وهنا قلت للكابتن جود :

ـ افتح لهم فمك يا كابتن ‥ افتحه بسرعة ‥ !

ففتح الكابتن شفتيه عن آخرهما ‥ ونظر الرجال الى داخل فمه فلم يروا أثرا لسنة واحدة فازدادت دهشتهم وتصايحوا وتعالت أصواتهم :

ـ أين ذهبت أسنانه ‥ هل ذابت ‥ لقد رأينا أسنانه بعيوننا من قبل ‥ ؟!

وأعاد الكابتن جود طاقم أسنانه الى فمه فى حركة خاطفــة ·· ثم فتح فـــه عن آخره فظهر صفان من الأسنان الجميلة ·

وعندئــذ صرخ الفتى الصغير الذى كان يتقدم الرجال صرخة مرعبة ، وبدأ المحارب العجوز يرتعش وتهتز ركبتاه من شدة الخوف ·· ومع ذلك فقد تحامل على نفسه **وقال لنا وهو يرتجف :**

ـ إرى أنكم لستم من البشر ·· هل يمكن أن تلد النساء رجــلا له عين مستديرة تلمع فى ضـــوء الشمس وله أسنان تتحرك وتذوب ثم تنمو من جديد مرة أخرى ·· ؟!

فقلت منتهزا هذه الفرصة :

ـ لقد جئنا من عالم آخر ·· بالرغم من أننا رجال مثلكم ·· لقد جئنا من النجم الكبير الذى يلمع فى السماء ليلا ·· !

فصاحوا كلهم مندهشين :

ـ أوه ·· أوه !!

ـ لقد جئنا لنقيم عندكم فترة قصيرة ·· ولنمنحكم البركة أيضا ·· والآن ·· دعونا نعاقب اليد التى رمت السهم على هذا الذى تخرج أسنانه من فمه وتدخل ·· !

فقال المحارب العجوز :

ـ اعفوا عنه يا أسيادى ·· انه ابن الملك !

فقلت مستمرا فى هذه الطريقة :

ـ ربما لا تعلمون مدى قدرتنا على قتله ··

واشرت الى امبوبا وقلت :

ـ اعطنى الماسورة المسحورة التى تتكلم !

وأعطانى أمبوبا احدى البنادق ·· والتفت الى الرجال وأنا أشير الى حيوان كان يقف على بعد نحو سبعين ياردة ، وقلت لهم :

ـ اخبرونى ·· هل يستطيع رجل ولدته امرأة أن يقتل هذا الحيوان البعيد بمجرد احداث صوت ·· ؟!

فقال المحارب العجوز :

ـ لا يمكن ·· هذا مستحيل يا سيدى !

وعندئذ صوبت البندقية وأطلقتها ، فقفز الحيوان في الهواء وسقط على الأرض ميتا ·· **وقال العجوز :**

ـ لقد اقتنعنا بكم ·· ان جميع الساحرات فى قبيلتنا لا يستطعن أن يفعلن شيئا كهذا ·· والآن ·· اسمعوا يا أبناء النجم الساطع ·· يا أبناء العيون التى تلمع فى ضوء الشمس والأسنان التى تخرج من الفم وتدخل ·· يا من تستطيعون القتل بهذا الصوت المرتفع كالرعد ·· أنا اسمى « انفادوس » ·· وأنا ابن « كافا » الذى كان ملكا على شعب « كوكوانا » ·· أما هـــذا الشاب فاسمه « سكراجا » ·· وهو ابن « توالا » الملك العظيم ·· سيد شعب كوكوانا ·· وحارس الطريق العظيم ·· وباعث الرعب فى قلوب أعدائه ·· وقائد مائة ألف من الجنود الشجعان ·· توالا الأسود ·· المرعب ·· صاحب العين الواحدة !!

فقلت وأنا أبدى عدم اهتمامى بهؤلاء الرجال :

ــ هل هــذا صــحيح .. اذن خذونا الى توالا الملك .. فنحن لا نتكلم مع من منهم من طبقة أدنى ..

عندئذ انحنى المحارب العجوز انفادوس باحترام شديد .. وهمهم قائلا : « كوم .. كوم ! » وقد عرفت فيما بعد انها تحيتهم للملوك .. ثم التفت الى رفاقه وأمرهم ببعض الكلمــات ، بدأوا على أثرهــا فى حمل جميع أمتعتنا وحاجياتنــا فيمــا عدا البنادق التى لم يجسروا على الاقتراب منها أو لمسها .. وحملوا أيضا ثياب الكابتن جود التى كان قد خلعها ليغسلها فى ماء الغدير .. ولكن الكابتن صاح بهم أن يتركوا ملابسه لأنه يريد أن يرتديها .. وطبعا لم يفهم الرجال شيئا مما قاله الكابتن . فقال لهم أمبوبا بلغــة الزولو ان الكابتن يريد ثيابه ليرتديها .. وعندئذ قال المحارب العجوز فى دهشة :

ــ لا يا سيدى .. هل يريد سـيدى أن يغطى ساقيه البيضاوين .. هل فعلنا شيئا شريرا حتى يقوم سيدى بتغطية ساقيه .. ؟!

ولكن الكابتن جود لم يقتنع وطلب ملابسه مرة اخرى .. وهنا تقدم اليه السير هنرى **وقال له :**

ـ اسمع يا كابتن جود .. لقد ظهرت فى هذه البلاد بشخصية خاصة متميزة .. ويجب عليك أن تستمر فى تمثيل هذه الشخصية .. ومن الآن فصاعدا .. يجب ان تبقى هكذا .. لا تلبس سوى القميص والحذاء .. وتظل محتفظا بالمونوكل فوق عينك !

واضفت الى قول السير هنرى :

ـ نعم .. واذا غيرت أى شىء من مظهرك هذا فانهم سيتوقفون عن تصديقنا .. وسيقتلوننا فى لحظة .. !

فتساءل الكابتن بحزن :

ـ هل تظن ان الأمر كذلك .. ؟

واجبت : هذه هى الحقيقة !!

الفصل الثامن

الدخول الى كوكوانا لاند

سالت انفادوس اثناء الطريق :

ـ من ذا الذى بنى هذا الطريق يا انفادوس ٠٠ ؟

ـ لقد بنى فى عصور قديمة يا سيدى ٠٠ ولا أحد يعرف كيــف ولا متى بنى ٠٠ حتى الساحرة العجوز « جاجول » التى عاشت مئات السنين وظلت تعيش حتى الآن !

وسألته :

ـ هل لدى الملك توالا جنود كثيرون ·· ؟

ـ عندما يستدعى الملك توالا جنوده ·· فانهم يغطون هذا الوادى بأكمله !

ـ هل حدثت حروب منذ وقت قريب ·· ؟

ـ نعم ·· حدثت حرب بيننا وبين أنفسنا ·· كلب أكل كلبا ·· !

ـ ما معنى هذا ؟
ـ طبقا لعاداتنا وتقاليدنا ·· اذا ولدت امرأة طفلين توأمين ، فيجب ان يقتل الطفل الأضعف ·· وكان للملك السابق « كافا » اخ توأم ولد معه ·· ولكن أم الملك خبأت وليدها الآخر حتى لا يتعرض للقتل ·· وعندما مات الملك كافا ، تولى العرش أخوه الأصغر « ايموتو » ·· ولكن « جاجول » الحكيمة الساحرة المرعبة ، أيدت « توالا » الأخ التوأم للملك الميت ·· وقام توالا بقتل ايموتو وتولى العرش بدلا منه ·· ولكن

ارملة ايموتو هربت وحملت معهـا طفلهـا الرضيع « اجنوسى » ·· ومنذ ذلك الحين لم يرها أحد ··

فسالته باهتمام :

ـ معنى ذلك اذا كان « اجنوسى » لم يزل حيا ·· فسوف يكون الملك الحقيقى لشعب كوكوانا ·· !

اجاب :

ـ هـذا صـحيح ·· وهناك عـلامة « الوحش الزاحف » التى نوشم بها الابن الأكبر للملك حـين مولده ·· فاذا كان اجنوسى حيا فسوف يصبح الملك صاحب الحق الشرعى على شعب كوكوانا ·· ولكن من المؤكد أن اجنوسى قد مات ··

كان أمبوبا يسير خلفى مباشرة ·· وسمع كل هذا الحديث الذى دار بينى وبين انفادوس ·· وعندما نظرت الى وجهه ، بدا لى أنه كان يحاول ان يسترجع الى ذاكرته شيئا نسيه منذ فترة طويلة ··

وكان انفادوس قد أرسل بعض الرسل للاعلان عن قدومنا ٠٠ وقبيل العصر أصبحنا قريبين من احدى القرى ٠٠ ولاحظنا أن فرقا كثيرة من الرجال كانت تتجمع خارج أبواب القرية ٠٠ وكانت رؤوس الرجال مزينة بالريش وكانوا يحملون فى أيديهم حرابا ذات سنون لامعة ٠٠

وتراص هؤلاء الرجال فى صفين كل صف منهما على أحد جانبى الطريق ٠٠ وقفوا هناك جامدين كما لو كانوا تماثيل من الحديد ٠٠ وعندما أصبحنا وسطهم تماما ، أعطيت لهم اشارة من قائدهم ٠٠ واذا بهم يصيحون جميعا بتحيتهم الملكية وبصوت كالرعد :
« كوم ٠٠ !! » ٠

كانوا يطلقون اسم « الرماديين » على هؤلاء الجنود ، لأن دروعهم كانت رمادية اللون ٠٠ وكانوا معروفين بأنهم من خيرة الجنود فى شعب كوكوانا ٠٠ وكان انفادوس هو القائد الآمر لهؤلاء الرماديين ٠

وتجمع الرماديون وراءنا في شكل صفوف متراصة .. وساروا خلفنا بخطوات منتظمة تهز الأرض .

وتوقفت مسيرتنا قبيل غروب الشمس لنحصل على بعض الراحة .. وكانت وقفتنا على قمة تل كان الطريق فوقها .. وهناك شاهدنا سهلا جميلا واسعا تقع في وسطه مدينة « لوو » عاصمة كوكوانا لاند .. وهي مدينة محلية تعتبر أكبر من مثيلاتها من المدن المحلية الأخرى ، ويبلغ محيطها نحو خمسة أميال .

وعلى مقربة من تلك المدينة ، كان هناك تل يلفت النظر بشكله وتكوينه الذى يشبه شكل حدوة الحصان أو شكل هلال القمر .. وعلى بعد نحو ستين أو سبعين ميلا خلف المدينة ، كانت هناك ثلاثة من الجبال لها شكل وتكوين غريب وتتوج قممها الثلوج ..

لاحظ انفادوس أننا نركز نظرنا على تلك الجبال ، فقال يوضح لنا أمرها :

ــ عند تلك الجبال ينتهى الطريق ·· وهى جبال مملوءة بالكهوف ·· وكان الرجال الحكماء فى العصور القديمة يذهبون الى تلك الجبال ليحصلوا على ما جاءوا من اجله الى هذه البلاد ·· اما الآن ·· فان جميع ملوكنـا الذين ماتـوا مدفونون هنـاك ·· فى أرض الموت ·· !

التفت الى رفاقى وقلت لهم :

ــ ان كنوز سليمان من المـاس مخبأة فى تلك الجبال !

وكان امبوبا واقفا بالقرب منى وهو مستغرق فى تفكير عميق · ولكنه قال فجاة :

ــ نعم ·· الكنوز موجودة هنـاك ·· ومادمتم تحبون هذه الأشياء ، فسوف تحصلون عليها !

ولم اكن مستريحا للطرق الغريبة التى يتكلم بها أمبوبا فى بعض الأحيان ·· لذلك قلت له غاضبا :

ــ ومن أدراك ·· وكيف عرفت هذا يا أمبوبا ··؟

فضحك امبوبا وقال :

ـ لقد حلمت بهذا أثناء النوم !

وهنا قال انفادوس

ـ اذا كنتم يا أسيادى قد استرحتم بما فيه الكفاية ، فان علينا أن نواصل الطريق الى مدينة « لوو » ·· لقد أرسلت رسالة الى هناك ·· وستكون الأكواخ معدة لاستقبالكم فى هذه الليلة ·

وبعد مسيرة نحو ساعة ·· وصلنا الى أطراف المدينة ، حيث كانت هناك بوابة كبيرة ، أمر انفادوس بفتحها ففتحوها ·· ودخلنا منها الى الشارع الرئيسى بالمدينة ··

استمر سيرنا نحو نصف ساعة وسط صفوف لا حصر لها من الأكواخ ·· الى أن وصلنا الى مجموعة صغيرة من الأكواخ ، بنيت على شكل دائرة تتوسطها ساحة واسعة ·

كانوا قد أعدوا كوخا مستقلا لكل واحد منا ·· وزودونا بالمياه فاغتسلنا واستحممنا ·· ثم أحضرت لنا بعض النساء الصغيرات مجموعة من الأطباق الخشبية مملوءة بالطعام ·· وقمنا بعد ذلك بتجميع الأسرة التى سوف ننام عليها فى كوخ واحد حتى نكون متجمعين سويا عند حدوث أى خطر ··

ولم يمض وقت طويل حتى استغرقنا فى نوم عميق نعوض به متاعبنا بعد تلك الرحلة الطويلة ·

الفصل التاسع

الملك توالا

عندما استيقظنا ، كانت الشمس قد اعتلت وسط السماء .. وبعد أن تناولنا افطارنا ، جلسنا ندخن .. ثم جاءتنا رسالة شفوية من انفادوس يقول فيها أن الملك توالا مستعد الآن لاستقبالنا اذا كان ذلك سيسرنا ..

أخذنا بنادقنا وبعض الهدايا التى سنقدمها للملك وزوجاته وبعض رجال حاشيته .. وبعد أن سرنا

بضع مئات قليلة من الياردات وصلنا الى ساحة واسعة جدا ·· وفى الجهة الأخرى المقابلة لبوابة تلك الساحة رأينا كوخا كبيرا شديد الضخامة ·· وهو الكوخ الذى يعيش فيه الملك ·

أما الساحة الواسعة التى كانت تفصل بين البوابة وكوخ الملك . فقد كانت مكدسة عن آخرها بالجنود الذين تراصت صفوفهم ووقفوا جامدين كما لو كانوا قد نحتوا من صخور صلبة ·· كانوا نحو سبعة آلاف او ثمانية آلاف جندى ·· وكلهم كانوا يزينون رؤوسهم بالريش ويحملون حرابهم ورماحهم ذات السنون اللامعة ، ودروعهم الجلدية المغطاة بصفائح الحديد ·

وأمام بوابة كوخ الملك ، رصت بعض المقاعد ·· وأجلسنا انفادوس على ثلاثة منها ، ووقف أمبوبا خلفنا ·· أما هو فقد ذهب ووقف منتظرا خارج بوابة الكوخ ·· وحل صمت مطبق لمدة تزيد عن عشر دقائق ··

وأخيرا ·· فتحت البوابة ، وظهر رجل ضخم الجثة كالعملاق ، وخلفه صبى صغير هو سكراجا ،

ومخلوق آخر غريب يبدو كما لو كان قردا مجففا يرتدى ملابس من الفرو .

جلس الملك .. ووقف سكراجا خلفه .. أما القرد المجفف فقد زحف على أقدامه الأربع وجلس فى ظل الكوخ .. واستمر الصمت المطبق ..

وبعد فترة قام الملك ووقف قبالتنا بطريقة تنذر بالشر .. والى جانب ضخامة جثته ، كان وجهه مخيفا يثير الرعب .. شفتان غليظتان .. وأنف مفلطح .. وعين واحدة سوداء يطل منها الشر .. أما عينه الأخرى فغير موجودة وتركت مكانها فجوة فى وجهه تزيده رعبا .. وكان يزين رأسه بعديد من الريش الأبيض .. وجسمه كله مغطى بدرع لامع .. وفى يده اليمنى رمح ضخم .. وحول رقبته حلقة سميكة من الذهب .. وفى منتصف جبهته تتلألأ ماسة ضخمة لم نر من قبل مثلها .. !

ولم يدم الصمت طويلا .. فقد رفع الملك رمحه الى أعلى .. وفى لمح البصر رفع الجنود الثمانية آلاف

رماحهم ، وصاح ثمانية آلاف لســان بالتحية الملكية وبصوت واحد يشبه هدير الرعد : كوم !!!

وتكررت هذه التحية ثلاث مرات ·· وفى كل مرة كانت الأرض تهتز من علو الهتاف ··

ثم صاح صوت حاد رفيع يبدو انه صوت القرد المجفف الجالس فى الظل :

ـ أطيعوا يا شعب ·· هذا هو الملك !!

فردد الهتاف الجنود الثمانية آلاف :

ـ اطيعوا يا شعب ·· هذا هو الملك !!

وبعد ذلك ســاد الصمت المطبق مرة أخرى ·· وفجأة قطع هذا الصمت صوت وقوع درع من أحـد الجنود على الأرض · فالتفت توالا بعينه الواحدة ناحية الصوت ليعرف ما حدث · وصاح بوحشية :

ـ تعال هنا ·· !



الملك توالا ٠

وخرج أحد الجنود الشبان من صفه ووقف قبالة الملك وهو يرتجف ·· **فصاح به الملك :**

ـ انت الذى سقط منك درعك ·· هل تريد أن تجلب الى العــار أمام هؤلاء الغرباء الذين جاءوا من النجوم ·· ما قولك ؟!

همهم الجندى قائلا :

ـ لقد حدث هذا صدفة ··

وقال الملك بقسوة :

ـ صدفة ستدفع ثمنهــا ·· فقد جعلتنى أبدو كالغبى أمام الغرباء ·· عليك اذن ان تستعد للموت الآن ·· سكراجا ·· دعنى أرى كيف تستعمل رمحك·· أقتل هذا الكلب !

وتقدم سكراجا لتنفيذ الحكم فى هذا الجندى · وصوب رمحه جيدا · وهزه مرة ·· ثم مرة ثانية ·· وفى المرة الثالثة غرس الرمح فى قلب الجندى المسكين الذى سقط على الأرض مضرجا فى دمائه ·· وسرت

همهمة هنا وهنـاك .. ثم عاد الصـمت المطبـق مرة أخرى ..

وهب السير هنرى واقفا كما لو كان يريد أن يحتج على هذا الحكم الجائر ، ولكننا أجلسناه وألزمناه الصمت .. **وقال الملك مهنئا ابنه :**

ـ كانت ضربة جيدة !

ثم اشار الى بعض الجنود وقال :

ـ خذوا هذا القتيل بعيدا !

وفى الحال تقدم أربعة رجال وحملوا الجندى القتيل وأبعدوه عن المكان .. وهنا سمعنا الصوت الحاد الذى يخرج من المخلوق الذى يشبه القرد المجفف **وهو يقول :**

ـ غطـوا آثار الدماء .. قال الملك أوامـره .. وأطيعت أوامر الملك ؟!

وتقدمت احدى الفتيات وكانت تحمل وعاء مملوءا بالتراب .. ونثرت التراب عـلى آثـار الـدم حتى اختفت .. وفى تلك الأثنـاء كان السير هنرى يغلى

بالغضب .. فهمست له بأن يجلس صامتا حتى لا تتعرض حياتنا للخطر .. فاستسلم وسكت على مضض .

وانتظر توالا حتى أبعدوا الجثة وغطوا دماءها . ثم وجه الحديث الينا :

ـ أيها الرجال البيض .. من أين جئتم .. وعما تبحثون .. ؟!

اجبت :

ـ جئنا من النجوم .. ونريد زيارة هذه البلاد..

ـ تذكروا أن النجوم بعيدة .. أما انتم فقريبون .. هل تعرفون أنى قادر على جعل مصيركم مثل مصير هذا الجندى الذى حملوه بعيدا .. ؟

فضحكت بصوت مرتفع ضحكة مفتعله .. وقلت له :

ـ ألم يخبروك باننا قادرون على القتل ونحن نقف فى مكان بعيد .. ؟!

فقال الملك :

ـ لقد أخبرونى بذلك ·· ولكنى لا أصدقه ·· واذا كنتم صادقين فعلا ·· أرونى كيف تقتلون رجلا من هؤلاء الجنود الواقفين هناك !

قلت :

ـ لا ·· نحن لا نقتل الرجال الا اذا كان ذلك من أجل عقاب عادل ·· احضر لنا فيلا صغيرا ودعه يقف عند تلك البوابة البعيدة ·· وسترى بنفسك انى سأسقطه ميتا وأنا واقف فى مكانى هنا ·· !

فقال الملك :

ـ أحضروا فيلا على الفور !

وهمست الى السير هنرى قائلا :

ـ عليك أنت أن تطلق النار هذه المرة ·· حتى يعرف صاحبنا أننى لست الساحر الوحيد فى جماعتنا !

ومرت فترة صمت ·· ثم ظهر فيـل قادما من ناحية البوابة · وعندما رأى الفيل كل هذا الجمع من

الجنود توقف · وفي الحال أطلق السير هنري بندقيته فسقط الفيل ميتا ·· وانطلقت همهمات التعجب من آلاف الجنود الذين شاهدوا ما حدث ·

وعندئذ قلت للملك :

ـ انظر الآن ·· انى أستطيع أن أكسر رمحك !

وصوبت بندقيتى وأطلقتها فتناثر سن الرمح الى قطع صغيرة · وانطلقت همهمات الدهشة والتعجب مرة أخرى ·

ورأيت المخلوق الذى يشبه القرد المجفف يزحف على أربع من مكانه فى الظل ، واتجه الى حيث كان الملك · وعندئذ هب واقفا على قدميه الخلفيتين وأزاح الغطاء عن وجهه ·· وكم كانت دهشتنا حين رأينا وجه امرأة عجوز معمرة ·· كله تجاعيد متغضنه صفراء ·· ووسط هذه التجاعيد كانت هناك فتحة الفم ·· ولم يكن هناك أنف ظاهر ·· ويبدو وجهها كما لو كان جمجمة لجثة جففتها الشمس ·· وكان رأسها الأصفر عاريا وليس فيه شعر على الاطلاق ·

كانت هذه المرأة هى « جاجول » الشهيرة ‥
الساحرة العجوز التى لا يعرف عمرها أحد . والحقيقة أن الخوف قد اعترانا بسبب منظرها المرعب ‥ !

وقفت الساحرة صامتة للحظة قصيرة ، ثم مدت عظام يدها حيث تظهر أصابعها ذات الأظافر الطويلة ، ووضعتها على كتف الملك توالا وقالت :

ـ اسمع أيها الملك ‥ اسمعوا يا جنود ‥ اسمعوا يا جبال ووديان وأنهار كوكوانا ‥ اسمعوا أيها الرجال والنساء والشباب والعذارى ‥ اسمعوا أيها الأجنة الذين لم تولدوا بعد ‥ ان كل حى مصير الموت ‥ اسمعوا ‥ انى أملك روح الحياة ‥ وأعرف جميع الأشياء التى سوف تحدث ‥ !!

ودب الخوف فى قلوب الجميع ‥ بل وفى قلوبنا نحن أيضا عندما سمعنا هذه الكلمات ‥ واستمرت جاجول فى صياحها :

ـ الدم ‥ الدم ‥ الدم ‥ أنهار من الدم ستسيل فى كل مكان ! ‥ انى عجوز ‥ عجوز ‥

يعرفنى آباؤكم وآباء آبائكم ·· وآباء آباء آبائكم ·· لقد رأيت كثيرا من الدم يسيل ·· وسأرى دماء أكثر تسيل قبل أن أموت ·· والآن ·· عمن تبحثون أيها الرجال البيض القادمون من النجوم ·· نعم القادمون من النجوم ·· هل تبحثون عن شخص مفقود ·· انكم لن تجدوه هنا ·· فمنذ مئات السنين لم تطأ هـذه الأرض قدم بيضاء ·· هل جئتم من أجل الأحجار البيضاء ؟ ·· اذن فسوف تعثرون على تلك الأحجار بعد أن يجف الدم ·· ولكن هل تظنون أنكم سترجعون الى المكان الذى جئتم منه ·· أم انكم ستفضلون البقاء معى حيث اكون ·· ها ·· ها ·· هاه !! ·· وأنت يا صاحب الوجه الأسمر الفخور [واشارت الى امبوبا] ·· من أنت ؟ ·· انى أعرفك ·· وأستطيع أن أشم رائحة الدماء التى تجرى فى قلبك ·· اخلع ملابسك !!

وعندئذ احست الساحرة بصدمة شديدة وسقطت على الأرض مغشيا عليها ·

قام الملك وكل عضو فيه يرتعش · واشار بيده

اشارة معينة بدأ الجنود ينصرفون على أثرها ٠٠ وفى خلال نحو عشرة دقائق لم يعد فى المكان سوانا نحن والملك وعدد قليل من الخدم والأتباع ٠

وقال الملك :

ـ أيها الرجال البيض ٠٠ لقد طرأت فى ذهنى فكرة قتلكم ٠٠ لقد تحدثت جاجول بكلمات غريبة !

فضحكت وقلت له :

ـ كن حذرا أيها الملك ٠٠ ان قتلنا ليس بمثل هذه السهولة !

فوضع يده على جبينه وأخذ يفكر ، **وقال أخيرا :**

ـ اذهبوا فى سلام ٠٠ الليلة ستقام حفلة رقص كبيرة ٠٠ سترونها ٠٠ وغدا سوف أفكر ٠٠ .

فقلت له :

ـ حسن أيها الملك !

وأخذنا انفادوس ٠٠ وسار بنا حتى وصلنا الى أكواخنا ٠٠

الفصل العاشر

الساحرات الصيادات

وعندما وصلنـــا الى كوخنا ، دعوت انفادوس للدخول معنا ، فلبى الدعوة وكأنه كان ينتظرها ، الأمر الذي شجعني على الحديث معه بصراحة • **فقلت له** :

ـ انفادوس •• نحن نريد أن نتحدث معك ••

ـ قولوا ما تشاءون ••

ـ يبـدو لنـا أن الملك توالا رجل ظالم وقاسى القلب ..

ـ انه كذلك يا سـيدى .. ان الأرض تصرخ بسبب قسوته وظلمه .. وسترون ذلك بأنفسكم هذه الليلة .. فسـوف تقـام حفلة كبرى للسـاحرات الصيادات .. وستقوم الساحرات بشم بعض الناس لاختيارهم للقتل .. فاذا كان الملك يريد أن يستولى على قطيع أحد الرجال او يستولى على زوجة رجل .. أو اذا كان يخشى من رجل معين ، فان الساحرة جاجول أو الساحرات الأخريات اللاتى دربتهن جاجول ، سيقمن بشم هؤلاء الرجال . وهذا معناه ان الساحرات قـد اختارت هؤلاء الرجل للقتل فيقتلون فى الحال .. ان الأرض تعانى من ظلم توالا وأساليبه الدموية ..

ـ اذن .. لماذا يا انفادوس لا تتخلصون منه ..؟!

ـ اذا قتل توالا فسـوف يتولى العرش ابنـه سكراجا ، وهو يحمل قلبا أكثر سوادا من قلب أبيه .. لو لم يقتل ايموتو .. أو لو كان ابنه اجنوسى مازال

حيا ، لكان الأمر مختلفا •• ولكن ايموتو واجنوسى قد ماتا ولم يعد هناك أمل ••

وسمعنا صوتا من خلفنا يقول :

ـ ومن أدراك أن اجنوسى قد مات •• ؟!

كان الصوت صوت أمبوبا • لذلك فقد التفت اليه انفادوس وعنفه قائلا :

ـ ماذا تقصد بهذا القول يا ولد •• ومن سمح لك بالكلام •• ؟!

فقال امبوبا :

ـ اسمع يا انفادوس •• منذ سنوات طويلة قتل الملك ايموتو •• وهربت زوجته ومعهما ابنهما اجنوسى •• أليس الأمر كذلك •• ؟

ـ هو كذلك •

ـ وقيل فيما بعد أن المرأة وابنها قد ماتا على الجبال •• اليس كذلك •• ؟

ـ نعم ٠٠ هذا صحيح ٠٠

ـ لا ٠٠ لم تكن هذه هي الحقيقة ٠٠ فقد نجت الأم وابنها بعد أن استطاعا اجتياز الجبال ٠٠ كما ساعدهما بعض الناس الذين يتجولون فى الصحراء على اجتياز الصحراء حتى أوصلوهما الى أرض تنبت فيها الأعشاب والأشجار ٠٠

ـ وكيف عرفت كل هذه الأمور ٠٠ ؟

ـ اسمع ٠٠ لقد ماتت الأم بعد ذلك ٠٠ ولسنوات طويلة عاش اجنوسى وهو يكسب عيشه بنفسه ٠٠ عمل كخادم وكجندى ٠٠ ولكنه كان يحمل فى قلبه كل المعلومات التى لقنتها له أمه عن وطنه الأصلى وعن مكانته فى هذا الوطن ٠٠ ثم تقابل اجنوسى مع بعض الرجال البيض الذين كانوا يبحثون عن هذه الأرض المجهولة ٠٠ فالتحق بخدمتهم وجاء معهم ٠٠

عندئذ قال المحارب العجوز :

ـ انك مجنون بالتأكيد لتقول مثل هذا الكلام ٠٠

ـ هل تظن اني مجنون ‥ اذن ‥ فسوف أريك الدليل على صدق قولى ‥ يا عمى !!

وبحركة خاطفة ، خلع امبوبا ملابسه ووقف أمامنا عاريا كما ولدته أمه ‥ وأشار الى وشم يمثل « وحشا زاحفا » كان مرسوما حول خصره ‥ ونظر انفادوس الى الوشم وهو لا يصدق عينيه ‥ ثم خر راكعا على ركبتيه ، وصاح فى فرح :

ـ كوم ! ‥ كوم !! ‥ أنت ابن أخى ‥ أنت الملك !!

وقال امبوبا :

ـ انهض يا انفادوس ‥ فأنا لم أصبح بعد ملكا ‥ ولكن بمساعدتك ‥ ومساعدة هؤلاء البيض الشجعان من أصدقائى سأصبح ملكا على هذه البلاد‥ واذا كانت تنبؤات الساحرة جاجول صادقة ، فان الدم سيسيل على الأرض أولا ‥ وسيكون دمها ضمن تلك الدماء ‥ هذا اذا كان فى جسدها دم على الاطلاق ‥ لأنها الساحرة الشريرة التى تسببت

بكلماتها في مقتل أبى وفرار أمى ٠٠ والآن يا انفادوس عليك أن تختار ٠٠ هل ستضع يدك فى يدى وتصبح رجلى الذى اعتمد عليه ٠٠ ؟!

فتقدم المحارب العجوز الى أمبوبا [أو بالأحرى الى اجنوسى] وخر راكعا على ركبتيه مرة أخرى ، ووضع يده في يد اجنوسى ، وقال :

ـ اجنوسى ٠٠ أيها الملك الحقيقى لكوكوانا ٠٠ انى أضع يدى فى يدك ٠٠ وأعاهدك على أن أكون رجلك حتى آخر حياتى ٠٠ عندما كنت طفلا ترضع ٠٠ كنت ألاعبك وأجلسك على ركبتى ٠٠ أما الآن ٠٠ فانى على استعداد لاستخدام ذراعى من أجلك ومن أجل الحرية !

ثم التفت أمبوبا [أو اجنوسى الآن] ، وقال :

ـ وانتم أيها الأصدقاء البيض ٠٠ هل ستقفون الى جانبى ٠٠ ؟

وأخبرت السير هنرى بما طلبه أمبوبا ٠ فقال بلا تردد :

ـ لقد أعجبت بأمبوبا منذ البداية ٠٠ وسوف أقف الى جانبه فى تلك المهمة ٠

وقال الكابتن جود :

ـ قل له انى سأكون ولده الصالح ٠٠ ولكن بشرط أن يسمح لى بارتداء بقية ملابسى ٠

وقلت أخيرا :

ـ وأنا أيضا سأقف الى جانبك وجانب أصدقائى ٠٠ ولكنك تعلم يا اجنوسى اننا جئنا الى هنا لنبحث مع السير هنرى عن أخيه المفقود ٠٠ ويجب أن تساعدنا فى العثور عليه ٠٠

فقال اجنوسى ٠

ـ أعدكم بذلك ٠٠

ثم نظر الى انفادوس **وساله** ٠

ـ اخبرنى يا انفادوس ٠٠ هل حضر الى هذه البلاد رجل أبيض ٠٠

ـ لا يا اجنوسى ..

ـ واذا كان أى رجل أبيض قد شوهد فى هذه البلاد أو سمع عنه .. فهل كنت ستعلم بذلك ..

ـ طبعا يا اجنوسى .. لا يمكن أن يحدث مثل هذا دون علمى ..

وهنا قال اجنوسى للسير هنرى :

ـ هل سمعت .. ان أخاك لم يحضر الى هنا من قبل ..

فقال السير هنرى بصوت حزين :

ـ حسن .. كنت أعتقد دائما انه لا يستطيع ان يقطع كل تلك المسافات البعيدة .. وعلى أية حال ، فهذه هى مشيئة الله ..

وفتحت موضوعا جديدا لنخرج به من أثر ذلك الموضوع المحزن . **وقلت لاجنوسى :**

ـ والآن يا اجنوسى ·· لقد ثبت انك صاحب الحق فى عرش كوكوانا ·· ولكن كيف ستصبح ملكا بطريقة فعلية ·· ؟

فاجاب اجنوسي وهو يلتفت الى انفادوس :

ـ لا أدرى كيف ·· هل لديك خطة يا انفادوس ؟

وقال انفادوس :

ـ الليلة سيقام حفل الساحرات الصيادات ·· وستمتلىء قلوب الكثيرين بالغضب ضد الملك توالا ·· وعندما ينتهى الرقص ، سأتكلم مع بعض الرؤساء الكبار ·· وسأحضرهم ليتأكدوا بأنفسهم أنك الملك الحقيقى ·· وغدا سيكون هناك عشرون ألف رمح تحت أمرك ·

وفى هذه اللحظة سمعنا جلبة عند باب الكوخ ، وتبين لنا أن الملك توالا قد أرسل الينا ثلاثة من الرجال ومعهم بعض الهدايا ·· وكانت هذه الهدايا عبارة عن ثلاثة من الدروع الحديدية التى تغطى الجسم لتحميه

أثناء المعارك .. كما أهدى الينا أيضـــا بلطة حربية رائعة .. وقال لنا رئيس هؤلاء الرجال الثلاثة :

ـ أن الملك أرسلنا لكم لنعطيكم هذه الهدايا ،

فقلت له :

ـ ونحن نشكر الملك على ذلك ..

وبعد غروب الشمس ، حل الظلام .. وأشعلت آلاف المشاعل لتضيء كل مكان .. وسمعنا خطـوات الجنود خارج الكوخ وهم يتوجهون الى الأماكن المخصصة لهـم فى سـاحة الرقص حيث ستـتقام حفلة الرقص الكبرى .

ثم ظهر القمر وكان بدرا كامـلا .. ووصــــل انفادوس ومعه نحو عشرين من جنود الحراسة .. وكان هو وجنوده فى كامل ملابسهم ومعداتهم الحربيـة . وأوصانا انفادوس بأن نرتدى الدروع الحديدية التى أهداها الينا الملك تحت ملابسنا .. وكانت هــــذه الدروع مناسبة تماما لجسم السير هنرى الضـخم ،

ولكنها كانت تبدو أكبر من حجم جسمي وجسم الكابتن جود ٠٠ وعلق انفادوس على ذلك بقوله ان الملك ربما كان مسرورا بكم ٠٠ أو ربما كان يخاف جانبكم فأرسل اليكم هذه الهدايا من الدروع الحديدية ٠

وفى النهاية أصبحنا مستعدين تماما ٠٠ وأخذنا معنا مسدساتنا والبلط الحربية ٠٠ وعندما وصلنا الى الساحة الكبرى ، رأيناها مكدسة بنحو عشرين ألفا من الأهالى ٠٠ وكانوا مقسمين الى مجموعات صغيرة ٠٠ تفصــل بين كل مجموعة وأخرى طرقات ضــيقة لكى تسمح بتجول الساحرات الصيادات حين يبدأ العمل

وقال الكابتن جود :

ـ ان جميع هؤلاء الرجال واجمون في صــمت مطبق ٠٠ لماذا ؟

وسألنى انفادوس عما قاله الكابتن فأخبرته ٠٠
وقال انفادوس بهدوء :

ـ ان من يخيم عليهم شبح الموت لا يفعلون شيئا سوى الصمت ٠٠ !

فسألته :

ـ اخبرنى ‥ هل نحن فى خطر ‥ ؟!

ـ لا أدرى ‥ وارجو الا يحدث اى خطر ‥ وعليكم الا تظهروا اى احساس بالخوف ‥ واذا بقينم أحياء حتى الصباح ، فسيصبح كل شىء على ما يرام ‥ ان كثيرا من الجنود يهمسون مع بعضهم ضد الملك ٠

وفى وسط مكان مفتوح بالساحة ‥ كانت هناك بعض المقاعد ‥ وفتح باب الكوخ الملكى وخرج منه بعض الرجال ‥ فقال انفادوس وهو يشير اليهم :

ـ انه الملك ‥ وابنه سكراجا ‥ والساحرة العجوز جاجول ‥ ومعهم اثنا عشر من الجلادين ضخام الجثث وهم الذين سيقومون بقتل من يقع الاختيار عليهم ‥ !

وجلس الملك ‥ وجلست الساحرة جاجول عند قدميه ووقف الباقون خلفه ٠ وقال لنا الملك بصوته المملوء بالقسوة :

ـ انظروا حولكم أيها الأسياد البيض •• وسط هذه المجموعات من الرجال من يرتجفون من شدة الخوف قلوبهم مملوءة بالشر ويخشون العقاب الذى سينزل عليهم من السماء •• !

وصاحت جاجول بصوتها الحاد :

ـ ابدأوا •• ابدأوا •• فالكلاب جوعى وتنبح طالبة طعامها •• ابدأوا •• ابدأوا •• !

وحل بعد ذلك صمت مخيف •• ثم رفع الملك رمحه الى الأعلى •• وفى الحال رفع عشرون الفا من الجنود أقدامهم وخبطوها على الأرض دفعة واحدة ، فارتجت الأرض رجا •• وكرروا هذه الحركة ثلاث مرات •• ثم صاح صوت باغنية حزينة •• وكان المغنى يردد بين حين وآخر مقطعا تقول كلماته :

ـ ما هو مصير كل رجل ولدته امرأة •• ؟!

وكان جميع الموجودين يردون عليه بصوت واحد :

ـ الموت !!

وتكرر هذا المقطع وهذا الرد الجماعى عدة مرات ٠٠ ولم أستطع أن أتتبع بقية كلمات الأغنية ٠٠ الا انى أتذكر أنها كانت تتحدث عن حياة الانسان وعن آماله ومخاوفه واحزانه ومسراته ٠

وأنشدت بعد ذلك مجموعة أخرى من الأغانى ٠٠ اغنية عن الحب ٠٠ واغنية عن فخر المحاربين بأعمالهم الشجاعة فى المعارك ٠٠ وأخيرا أغنية مؤسية عن الموت والنواح على الميت ٠٠ وقد انتهت هذه الأغنية فجأة بصراخ ملتاع اشترك فيه الجميع فكاد الدم أن يتجمد فى عروقنا !

وعاد الصمت من جديد ٠٠ الى أن أعطى الملك اشارة أخرى ٠٠ وفى الحال سمعنا جلبة آتية من ناحية صفوف الجنود ٠٠ وظهرت عشرة ساحرات لهن منظر غريب ومخيف ٠٠ كن من النساء العجائز ٠٠ وكان شعرهن الأشيب منفوشا فوق رؤوسهن ٠٠ وتتدلى من خصورهن أحزمة علقت عليها عظام بشرية ٠٠ وكانت وجوههن ملطخة بخطوط بيضاء وصفراء ٠٠ وكانت كل واحدة منهن تحمل فى يدها عصا معوجة ٠٠

واندفعن جميعا جاريات نحو المكان الذى يجلس فيه الملك وتجلس فيه جاجول تحت قدميه ، **وصحن بصوت واحد :**

ـ أمنا ·· أمنا العجوز ·· نحن هنا !

فقالت الساحرة العجوز :

ـ عظيم عظيم ·· هل عيونكن حادة النظر وتستطعن الرؤية فى الأماكن المظلمة ·· ؟!

ـ نعم يا أمنا ·· عيوننا حادة النظر ··

ـ عظيم عظيم ·· وهل آذانكن مفتوحة وتستطعن سماع الكلام الذى لم تنطقه الألسن ·· ؟!

ـ نعم يا أمنا ·· آذاننا مفتوحة ··

ـ عظيم عظيم ·· وهل تستطعن شم رائحة الدم ·· وهل تستطعن تنظيف البلاد من الملعونين الذين يدبرون شرا ضد الملك أو ضد جيرانهم ·· وهل تستطعن المساعدة في تطبيق عدالة السماء ·· انتن أيتها الساحرات اللاتى علمتهن بنفسى ·· واللاتى أكلن خبز حكمتى ·· واللاتى شربن ماء سحرى ·· ؟!

ـ نعم يا أمنا ·· نحن نستطيع ··

ـ اذن ·· فلتذهبن الآن الى عملكن ·· فالجلادون يسنون رماحهم ·· وينتظرون ما تخترنه من أرواح·· اذهبن !!

وأخذت الساحرات الصيادات من تلميذات جاجول تصرخن صرخات وحشية مدوية ، وانطلقن جاريات فى كل أنحاء الساحة ·· وبطبيعة الحال لم نتمكن من متابعة ما تفعله كل ساحرة منهن ، لأن معظمهن قد اختفين بين صفوف الجنود ومجموعات الأهالى فى الأركان البعيدة ·· واستطعنا فقط أن نتتبع ما تفعله أقرب تلك الساحرات الى مكاننا ··

ظلت تجرى هنا وهناك فى اتجاهات مختلفة ·· وعندما اقتربت من أحد صفوف الجنود ، بدأت ترقص وتدور حول نفسها بحركات عنيفة ·· وكانت تصيح بين حين وآخر بكلمات معناها : « انى أشم فاعل الشر » ·· « انه قريب منى ذلك الذى دس السم

لأمه » .. « انى اسمع الأفكار التى تدور فى ذهن من يدبر الشر للملك » ..

وازدادت حركات رقصها عنفا حتى بدت وكأنها قد أصيبت بمس من الجنون .. وجحظت عيناها وتقلصت عضلات وجهها وتوقفت عن الرقص وبدأت تزحف ببطء تجاه أحد صفوف الجنود .. وكلما اقتربت من الصف كان الجنود يرتجفون هلعا ..

وفجأة .. جاءت النهاية ، فأطلقت صرخة وحشية وبدأت تتشمم احد الجنود مثل كلب يتشمم أرنبا .. ثم لمست الجندى السيىء الحظ بعصاها المعوجة . وعندئذ أمسك الجنديان الواقفان على يمين ويسار الجندى الذى تم اصطياده .. وساقاه وتقدما به الى الملك ..

وصاح الملك : اقتلوه .. !

وصاحت جاجول : اقتلوه :

وفى لمح البصر تقدم جلادان ونفذا ذلك الأمر البشع بمنتهى السرعة .. وبمجرد انتهاء هذا المشهد

الرهيب .. جاءوا بشخص وقتل بنفس الطريقة .. ثم قتل شخص ثالث .. ورابع .. وخامس .. وحاولنا من جانبنا أن نوقف هذه المذبحة ونتشفع لهؤلاء القتلى لدى الملك . ولكن الملك استبدت به شهوة القتل وقال وهو يتمتع برؤية الضحايا :

ـ دعوا القانون يأخذ مجراه .. ومن الأفضل لمثل هؤلاء أن يموتوا ..

واستمرت الساحرات فى اصطياد المزيد من الضحايا .. واستمرت عمليات القتل واحدة بعد أخرى ..

وأخيرا تجمعت الساحرات العشر أمام استاذتهن العجوز جاجول ، وكان يبدو عليهن التعب والارهاق بسبب المجهود الذى بذلته فى مهمتهن السموية .. واعتقدنا نحن أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد . ولكن ظننا فى ذلك قد خاب فجأة ..

هبت جاجـول واقفـــة وقفـزت الى منتصـف الســاحة ·· وتعجبنا كيف استطاعت تلك العجفــاء الشوهــاء أن تستجمع كل تلك القوة ·· فقد أخذت تجرى وتهرول هنا وهناك وترقص بحركات عنيفة مثل تلميذاتها من الساحرات الأخريات ·· وفجأة توقفت أمام رجل طويل القــامة وضــخم الجثة كان واقفــا أمام جماعته ·· ومدت يدها المتغضنة ولمسته ·· وسمعنا صرخات قوية أطلقتها الجماعة التى كان يراسها الرجل الذى تم اختياره للقتل · [وقد علمنا فيما بعد أن هذا الرجل يمتلك ثروة كبيرة كان الملك يريد الاسـتيلاء عليها ، وانه صاحب نفوذ كبير على جماعته وعشيرته ، وانه كان يمت الى الملك بصلة القربى] ·

وقفزت جاجول عدة قفزات أخرى ، وأدارت وجهها الينا وبدأت تتجه نحونا ·· **وسمعت السير هنرى وهو يسائل نفسه :** ترى ·· أينا سيتم اختياره ولمسه ··؟

وفى لمحة خاطفة تبدد الشك باليقين ·· واندفعت جاجول نحونا بكل قواها ·· ولمست أمبوبا (اجنوسى) فى كتفه ! ·· **وصرخت بصوتها الحاد :**

ـ لقد شممته ‥ شممت رائحة الشر التى تملأ قلبه ‥ اقتله ‥ اقتله أيها الملك ‥ اقتل هذا الغريب قبل أن تسيل الدماء بسببه ‥ اقتله !!

وساد صمت ووجوم ‥ **ولكني وقفت وصحت بالملك :**

ـ أيها الملك ‥ ان هذا الشخص يعمل خادما لدى ضيوفك ‥ وأى شيء يؤذيه سيؤذينا نحن أيضا‥ وطبقا للعادات والتقاليد التى تحكم العلاقة بين المضيف وضيوفه ‥ فانى أعلن حمايتنا لهذا الرجل !

واجاب الملك بغضب :

ـ لقد شممته ولمسته بنفسها أمنا جاجول ‥ أم الساحرات الصيادات جميعهن ‥ لذلك فلابد ان يقتل الآن فورا ‥ !

فقلت على الفور :

ـ لا ‥ لن يقتل ‥ واذا حاول أحد أن يقتله فسوف نقتله قبل أن يفعل ذلك ‥

وعندئذ اشــار الملك الى الجـلادين الذين كانوا يقفون بجواره وقد تغطت ملابسهم وأيديهم وأجسامهم كلها بدماء الضحايا · **وأمرهم :**

ـ أمسكوه !!

وصحت فيهم بدوري وانا اصوب مسدسي نحو الملك :

ـ ابعدوا عنه أيها الكلاب القتلة ·· سنقتلكم جميعا ونقتل الملك اذا حاول أى منكم أن يمس شعرة واحدة من شعر رأسه !

وأثناء ذلك ، كان السير هنرى قد صوب مسدسه نحو رئيس الجلادين ، بينما صوب الكابتن جود مسدسه نحو جاجول ·· **وقلت للملك :**

ـ والآن ·· ما هو رأيك يا توالا ·· ؟

تراجع الملك عن موقفه وقال :

ـ لأنك قلت ان هــذا الرجل يعتبر أيضــا من ضيوفى ·· وليس خوفا من تهديدكم ·· فقد عفوت عنه !

فقلت بهدوء وما زلت مصوبا مسدسي :

ـ حسنـا فعلت .. والآن .. لقد تعبنـا من مشاهد الموت .. ونريد أن نذهب لكي ننام .. فهل انتهت حفلة الرقص .. ؟

قال توالا بصوت منخفض ولكنه ينم عن الغضب:

ـ لقد انتهت !

ثم أشار الى جثث القتلى التى كانت مكومة أمامه **وقال للجلادين :**

ـ خذوا جثث هؤلاء الكلاب والقوها للكلاب !

ورفع رمحه بعلامة تدل على انتهـاء الحفـل .. وانصرف الجنود وجميع الموجودين فى صمت ..

وعندما وصلنا الى كوخنا ، جلسنا لنستريح من عناء تلك الحفلة البشعة .. **وقال السير هنرى موجها حديثه لامبوبا :**

ـ لقد كنت سعيد الحظ يا امبوبا .. فقد كان من المحتمل أن يخترق رمح أحد الجلادين جسدك القوى ولن تتمكن عندئذ من رؤية الشمس وهى تشرق غدا !

فاجاب امبوبا :

ـ سأحفظ لكم هذا الجميل .. ولن أنساه أبدا

الفصل الحادي عشر

العلامة السحرية

قرب الفجر سمعنا وقع أقدام خارج الكوخ .. ودخل انفادوس ومعه ستة من الرؤساء حسني المنظر .. **وقال باحترام شديد :**

ـ سادتي .. سيدي اجنوسي .. أيها الملك الحقيقي لكوكوانا .. لقد أحضرت معي هؤلاء الرجال الرؤساء .. انهم من أصحاب السلطة والنفوذ بيننا ..

وتحت امرة كل واحد منهم ثلاثة آلاف من الجنود ·· والآن ·· دعهم يا اجنوسى يروا بأنفسهم وشم « الوحش الزاحف » المرسوم على خصرك ·· واسمعهم قصتك حتى يقرروا انضمامهم الينا ضد الملك توالا · !

قام اجنوسى وخلع ملابسه وأراهم الوشم ·· وتحقق كل رئيس منهم بدوره من وجود الوشم مستخدما المصباح الصغير ذا الضوء الخافت ·· ثم ارتدى اجنوسى ملابسه وحكى لهم قصته التى سمعناها هذا الصباح ·· وعندئذ قال انفادوس :

ـ والآن أيها الرؤساء ·· ها انتم قد سمعتم القصة وعرفتم الحقيقة ·· فما رأيكم ؟ ·· هل ستقفون مع هذا الرجل وتساعدونه لكى يجلس على العرش مكان أبيه ايموتو ؟ ·· ان الأرض تصرخ ضد توالا وظلمه ·· ودماء الشعب تسيل كسيلان الماء فى فصل الربيع ·· كما رايتم بأنفسكم هذه الليلة ؟!

تقدم أكبر الرؤساء سنا ·· وكان رجلا قصيرا يميل جسمه الى البدانة · وقال :

ـ حقا يا انفادوس ان كلامك صادق ·· فالأرض تصرخ فعلا ·· وكان أخي أحد الذين قتلهم توالا هذه الليلة ·· ولكن الموضوع شديد الخطورة ·· فسوف تسيل دماء كثيرة ·· وسينضم الكثيرون الى الملك توالا ·· فالناس ينحنون للشمس المضيئة فى السماء ولا ينحنون للشمس التى لم تشرق بعد ·· وهؤلاء الرجال البيض الذين جاءوا من النجوم لديهم قوة سحر عظيمة ·· وهم يضعون اجنوسى فى حمايتهم ·· فاذا كان اجنوسى هو الملك الحقيقى ·· فدعهم يقدمون للناس علامة سحرية ·· وعندما يرى الشعب هذه العلامة سيعلمون أن سحر هؤلاء البيض يقف فى صف الملك الحقيقى ·· وعندئذ سينضمون جميعا الينا ·· !

وعندما انتهى هذا الرئيس من كلامه ، وافق بقية الرؤساء على كل كلمة قالها ·· فقلت لهم :

ـ ولكنكم رأيتم بأنفسكم وشم « الوحش الزاحف » · ·وهذه : آية كافية ·

فقال أكبر الروساء سنا :

ـ هذا لا يكفي .. لن نتحرك نحن أو يتحرك الناس معنا ضد الملك توالا ... الا اذا رأينا منكم علامة سحرية .

ولم أجد شيئا أقوله .. واحترت فى الأمر .. وترجمت للسير هنرى كل ما قاله وطلبه هؤلاء الرؤساء .. **وعندئذ قال الكابتن جود :**

ـ اعتقد اننا نستطيع أن نقدم لهم العلامة السحرية التى طلبوها .. أطلب من هؤلاء الرؤساء ان يتركونا لنفكر بعض الوقت .. !

وأحضر الكابتن جود صندوقا صغيرا كان يحمله معه ، وأخرج منه كتابا صغيرا مطبوعا بحروف دقيقة . وقلب فى بعض صفحات الكتاب ، **ثم قال لنا :**

ـ أليس غد هو الرابع من شهر يونيو .. ؟!

فأخبرناه بأن غدا هو الرابع من يونيو فعلا .. **فقال لنا بفرح وهو يقرأ فى الكتاب :**

ـ عظيم ·· اذن اسمعوا ·· فى الرابع من يونيو ·· سيحدث كسوف للقمر ·· يبدأ فى الساعة الثامنة والربع بتوقيت جرينتش ·· وسيشاهد الكسوف في تناريف ·· وفى جنوب أفريقيا ·· وفى ·· الخ ·· اذن هذه هى العلامة السحرية ·· ولتخبرهم بأن القمر سينطفىء مساء الغد ·· !

كانت فكرة عظيمة رائعة ·· ونقطة الضعف الوحيدة فيها ، هى أننا كنا نخشى ألا يكون كتاب الكابتن صادقا فيما تضمنه من معلومات عن هذا الكسوف ·· فسوف يكون معنى ذلك اننا سنقتل في لمح البصر ·· وستضيع فرصة اجنوسى فى أن يصبح ملكا على كوكوانا ··

وكان الكابتن يجرى بعض الحسابات حين قال له السير هنرى :

ـ اذا افترضنا أن هناك خطأ فى هذا الكتاب ·· فماذا نعمل ·· ؟

فاجاب الكابتن بثقة :

ـ ليس هناك أدنى سبب فى هذا الافتراض ٠٠ لقد حاولت أن أجرى حساب فروق الوقت بقدر ما استطيع ٠٠ وأعتقد أن الكسوف سيحدث هنا فى هذه المنطقة فى حوالى الساعة العاشرة من ليلة الغد ٠٠ وسيستمر حتى الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل ٠

فقال السير هنرى :

ـ على أية حال ٠٠ ليس أمامنا سوى أن نقوم بهذه المخاطرة ٠٠

وبالرغم من بعض شكوكى ، فقد وافقت على هذه الخطة ٠٠ وطلبت من أمبوبا [اجنوسى] أن يستدعى الرؤساء ليعرفوا قرارنا ٠٠ وعندما جاءوا ووقفوا أمامنا **قلت لهم ٠**

ـ أيها الرجال العظام من شعب كوكوانا ٠٠ وانت يا انفادوس ٠٠ اسمعوا ٠٠ اننا لا نحب أن

نستعرض قوتنا ·· ولكن ·· نظرا لأن الموضوع هام وخطير ·· ولأننا سنعمل على ازاحة الملك توالا · فقد قررنا أن نعطيكم العلامة السحرية التى طلبتموها ·· وهى علامة سيراها كل الناس معكم ·· !

وصحبت الرؤساء الى خارج الكوخ ، وأشرت لهم الى قرص القمر الذى أوشك على المغيب · **وسألتهم :**

ـ ما هذا الذى ترونه هناك ؟

قالوا :

ـ انه القمر ·· يحتضر !

ـ اذن فلتسمعوا ·· غدا قبل منتصف الليل بساعتين سنخفى القمر ونطفئه تماما لمدة ساعة ونصف ·· وسيغطى الظلام الأرض كلها ·· هذه هى العلامة السحرية التى تؤكد أن اجنوسى هو الملك الحقيقى لكوكوانا ·· فهل ستقتنعون فعلا بهذه العلامة ·· ؟!

فاجاب كبير الرؤساء وهم يبتسم :

ــ طبعا ·· ستكفينا هذه العلامة اذا قمتم بها حقا ·· واريد أن أخبركم بأن الملك توالا سيدعوكم ·· بعد ساعتين من غروب الشمس هذا اليوم ــ لمشاهدة حفلة « رقص البنات » ·· واعلموا ان بعد ساعة واحدة من بداية الرقص ·· سيقوم توالا باختيار أجمل الفتيات وأكثرهن فتنة وأحسنهن رقصا ·· وسيأمر ابنه سكراجا بقتل هذه الفتاة ليقدمها قربانا للآلهة الصامتين الذين يحرسون تلك الجبال ··

وأشار الرجل الى الجبال الثلاثة ذات المنظر الغريب والتى ينتهى عندها طريق سليمان كما هو مفروض ·· ثم واصل كبير الرؤساء حديثه :

ــ عندما تطفئون القمر ·· ستنقذون الفتاة من القتل ·· وسيقتنع بكم الناس جميعا ·· !

واضاف انفادوس قائلا :

ــ على بعد ميلين خارج مدينة « لوو » ·· يوجد تل يأخذ شكل هلال القمر ·· وهناك سيتجمع جنودى

وثــلاث فرق من الجنود التابعين لهؤلاء الرؤســاء ·· وسينتظر جميع الجنود هناك ·· وسنضع خطــة لكى تنضم الينا فرقتــان أو ثــلاث فرق أخرى ·· واذا استطعتم أن تطفئوا القمر فعلا ·· فسوف اسحبكم فى الظلام الى خارج المدينة حتى المكان الذى يتجمع فيه الجنود ·· ستصبحون هناك أكثر أمنا ·· ومن هناك سنحارب الملك توالا ··

وقلت فى النهاية :

ـ لا بأس ·· والآن اتركونا لننام حتى نصبح مستعدين لعمل العلامة السحرية ·· !

وبعد خروج الرؤساء ، أخذنا قسطا وافرا من النوم ·· وقضينا النهار فى هدوء ·· وبعد غروب الشمس وفى حوالى الثامنة والنصف مساء ، وصلتنا دعوة الملك توالا لحضور الحفل السنوى لرقص البنات ··

ارتدينــا الدروع الحــديدية تحت ملابســنا ·· وحملنا بنادقنا ، وذهبنا الى الحفل ·

كان منظر الساحة الواسعة الواقعة أمام كوخ الملك مختلفا عما شاهدناه من قبل ·· لم تكن هناك صفوف وصفوف من الجنود ·· بل كانت الساحة ممتلئة عن آخرها بمجموعات ومجموعات من البنات ·· وكانت كل فتاة منهن تضع على رأسها تاجا من الزهور ·· وتحمل ورقة كبيرة من أوراق الشجر في احدى يديها ، وتحمل فى يدها الأخرى زهرة بيضاء ·

وأمام بوابة كوخ الملك ، جلس توالا ، وجلست جاجول العجوز عند قدميه ·· وبالقرب منهما وقف انفادوس وسكراجا وخلفهما اثنا عشر حارسا مسلحا·· وكان هناك أيضا نحو عشرين رئيسا ، رأيت بينهم بعضا من الرؤساء الستة الذين زارونا فى الفجر ·

رحب بنا توالا فى أدب ·· بالرغم من انى لمحته وهو ينظر الى امبوبا بوحشية ·· وقال :

ــ مرحبا بكم مرة أخرى ·· ومرحبا أيضا بالرجل الاسود ·· لو كان كلام جاجول بالأمس قد نفذ ·· لكنت اليوم جثة هامدة ، أطرافها باردة ··

فقال امبوبا [اجنوسى] بهدوء :

ـ انى أستطيع أن أقتلك قبل أن تقتلنى .. وستبرد أطرافك قبل أن تبرد أطرافى ..

فقال توالا بغضب :

ـ انك تتكلم بغرور يا ولد .. ولا تكن جريئا الى هذا الحد .. والآن .. فلتبدأ حفلة الرقص !!

وفى ضوء القمر بدأ الحفل ..

نهضت مجموعات البنات مجموعة بعد مجموعة .. واشتركن جميعا فى أداء أغنية حلوة .. وكن يرقصن على نغماتها وايقاعاتها العذبة وهن يلوحن بالزهور وأوراق الشجر .. كان منظرهن جميلا للغاية ..

وخرجت من وسط جماعات البنات فتاة شابة حلوة التقاطيع وأخذت ترقص أمامنا رقصة رقيقة رائعة .. وظلت ترقص حتى حل بها التعب فتوقفت .. وعندئذ حلت محلها فتاة أخرى ورقصت حتى تعبت ..

وجاءت فتاة ثالثة .. ثم رابعة .. ثم خامسة .. وفتيات أخريات واحدة بعد أخرى .. ولكن أية فتاة منهن جميعا لم تتفوق على رقص الفتاة الأولى .. أو تمتلك جمالا مثل جمالها ..

وعندما انتهى رقص جميع الفتيات اللاتي تم اختيارهن ، رفع الملك يده وسألنا :

ـ والآن أيها الرجال البيض .. ما رأيكم .. ومن هي أجمل فتاة رقصت أمامكم من تلك الفتيات جميعا .. ؟!

فقلت دون تفكير :

ـ الفتاة الأولى طبعا !

وندمت على قولي هذا فورا .. اذ تذكرت ما قاله لنا انفادوس .. ان أجمل فتاة يتم اختيارها ستقتل لتقدم قربانا للآلهة الصامتة .. وعلق تووالا على قولي :

ـ ان عقلى مثل عقلك ·· ونظرتى مثل نظرتك ·· فالفتاة الأولى كانت أجمل الفتيات فعلا ·· ولكن هذا شيء سيىء بالنسبة لها ·· اذ لا بد أن تقتل !

وهنا صاحت جاجول العجوز بصوتها الحاد :

ـ اقتلوها ·· !

ويبدو ان الفتاة البريئة لم تكن تدرى اى شيء عن مصيرها المؤلم ·· فقد كانت تقف بعيدا وهى تقطف أوراق زهرتها ورقة بعد ورقة ·· **وهنا صحت بالملك وانا اتحكم في غضبى :**

ـ ولكن لماذا أيها الملك تقتلون فتاة بريئة ؟!

ضحك الملك وقال :

ـ تلك هى عاداتنا وتقاليدنا ·· يجب أن نقدم قربانا للآلهة والا حل الشر بى وبشعبى ··

ثم التفت الى الحراس الذين كانوا يقفون وراء **وقال لهم :**

ـ احضروا هـــذه الفتـاة الى هنـا ٠٠ وأنت يا سكراجا ٠٠ جهز رمحك واستعد ٠٠ !

وتقدم اثنان من الحراس وذهبا للامساك بالفتاة٠٠ التى يبدو أنها فهمت الآن ما يراد بها فحاولت الفرار٠٠ ولكن أذرع الحراس القوية أمسكت بهـــا جيدا فلـم تستطع أن تفلت ٠٠ ومع ذلك فقد ظلت تصـــارع وتقاوم وهى تبكى وتصرخ ٠ **وتقدمت اليها جاجول العجوز وسألتها :**

ـ ما اسمك ٠٠ هه مـــاذا ٠٠ ألا تريدين أن تقولى اسمك ٠٠ هل أجعل ابن الملك يبدأ عمله فورا ؟!

تقدم سكراجا ورفع رمحه واســـتعد ٠ ورأيت الكابتن جود وهو يتحسس مسدسه ٠٠ وأوقفت الفتاة مقاومتها ٠٠ وبدأت ترتعش خوفا وهلعا **وقالت :**

ـ اســـمى « فولاتا » يا أمى ٠٠ لمـاذا تريدون قتلى ٠٠ هل فعلت شيئا أغضبكم ٠٠ ؟!

ضحكت الساحرة العجوز ضـــحكة شريرة ..
وأشارت الى الجبال الثلاثة .. **وقالت بصوتها الكريه :**

ـ استريحي أيتهـا الفتاة .. سنقدمك قربانا للآلهة الصامتين هناك .. ان نوم الليل أفضل للانسان من تعب النهار .. والموت أفضل كثيرا من الحياة .. وستحصلين علىْ شرف الموت بيد ملكية .. سيقتلك ابن الملك بنفسه !

ويبدو ان « فولاتا » قد أدركت أبعـاد موقفهـا اليائس **فصاحت بأعلى صوتها :**

ـ يا متوحشـون .. يا غلاظ القلوب .. انى مازلت صغيرة .. وماذا جنيت حتى تحرمونى من رؤية الشمس وهي تولد من بطن الليل .. ومن رؤية النجوم فى السماء بعد أن تغرب الشمس وتذهب .. ومن قطف الزهور التى يكسوها الندى .. ومن سماع ضحكات المياه وهى تترقرق .. ومن عودتى الى كوخ أبى .. ومن قبلات أمى .. ومن رعاية الخراف الصغيرة حين تمرض .. ومن ذراع حبيب يضمنى وهو ينظر فى

عينى شغوفا مولعا .. ومن أطفال أولادهم فيصبحون رجالا .. انتم متوحشون .. قساة .. وقلوبكم غليظة !!

ولكن هذا الاستعطاف لم يغير من شعور جاجول ولا شعور سيدها .. بالرغم من انى رأيت ملامح التأثر تبدو واضحة فى وجوه الحراس ووجوه الرؤساء الذين شهدوا الموقف وسمعوا كل كلمة .. ورأيت الكابتن جود وقد هب واقفا وتأهب لتقديم المساعدة للفتاة البريئة .. ويبدو أن الفتاة قد لمحته وأحست بمشاعره ، فالقت بنفسها على الأرض امامه مستجيرة به وقالت :

ـ انقذنى أيها الأب الأبيض الذى جاء من النجوم .. انقذنى من جاجول ومن هؤلاء المتوحشين !

انحنى الكابتن وأمسك بذراع الفتاة وانهضها من الأرض وقال يطمئنها :

ـ انهضى يا فتاة .. سوف أحميك وأدافع عن حياتك !

التفت توالا الى ابنه سكراجا وأعطاه اشارة بأن ينفذ دوره ٠٠ وهمس لى السير هنرى :

ـ الآن جاء دورك ٠٠ وعليك ان تفعل شيئا ٠٠ ماذا تنتظر ٠٠ ؟

قلت له :

ـ إنتظر كسوف القمر ٠٠ فقد ركزت نظرى عليه طوال النصف ساعة الماضية ٠٠ ورأيت أنه ما زال كاملا وما زال ضوؤه شديدا ٠٠ يبدو ان الكسوف لن يحدث !

ـ ولكن عليك ان تفعل شيئا الآن ٠٠ والا فان الفتاة ستقتل فورا ٠٠ !

نهضت ووقفت حائلا بين الفتاة وبين الرمح الذى يحمله سكراجا فى يده ٠ وصرخت فى وجه الملك :

ـ أيها الملك ٠٠ ان ذلك لن يحدث !

فقال الملك غاضبا :

ـ لن يحدث ؟ ·· هه ! ·· اقبضوا على هؤلاء الرجال !!

وبمجرد صيحته تلك اندفع نحونا بعض الرجال المسلحين الذين كانوا يقفون وراء الكوخ استعدادا لتنفيذ مؤامرة مدبرة ضدنا ، فرفعنا بنادقنا وصوبناها ··

وصحت فى الجميع بأعلى صوتى :

ـ قفوا عندكم ·· وإياكم أن تتحركوا ·· اذا تقدمتم خطوة واحدة ·· فنحن أبناء النجوم سنطفىء القمر ونجعل الأرض فى ظلام دامس·· اننا قادرون على فعل ذلك ·· اذا خالفتم أمرنا !

وعندئذ صاحت جاجول بصوتها الكريه :

ـ أيها الملك توالا ·· هل سمعت مثل هذه الأكاذيب ·· انه يقول انهم قادرون على اطفاء القمر مثل

اطفاء المصباح .. دعهم يفعلون ذلك .. فاذا نجحوا فاطلق سراح الفتاة ولا تقتلهـا .. واذا فشـلوا .. فلتقتل الفتاة ولتقتل هؤلاء الرجال جميعا .. !

ونظرت الى القمـر فى يأس .. ولـكن لشـدة دهشتى تأكدت ان الكابتن لم يخطىء .. فقد رأيت قوسـا من ظل الأرض بدأ يقترب من سـطح القمر ويتلامس معا .. وعندئذ رفعت ذراعى نحو السماء .. وبصوت وقور بدات القى بعض أبيات من الشـعر الانجليزى لأبدو بذلك كمـا لو كنت اقـول ادعيـة سحرية .. وتبعنى السير هنرى وألقى أبياتا أخرى من الشعر .. ثم تبعنا بعد ذلك الكابتن جود وأخذ يصب بعض اللعنات والشتائم ..

وازداد زحـف ظل الأرض على وجـه القمر .. فصحت :

ـ هـل رأيت أيهـا الملـك .. هـل رأيت يا جاجول .. هل يقول الرجال البيض الذين جاءوا من النجوم أكاذيب فارغة .. ؟!

وتعالت صيحات كل الموجودين .. وبعضهم وقف يرتجف من شدة الخوف .. وركع آخرون على الأرض وهم يبكون بصوت مرتفع . وهمست للكابتن جود :

- استمر يا كابتن فى صب لعناتك وشتائمك فلم أعد أذكر مزيدا من أبيات الشعر .. !

ولبى الكابتن هذا الطلب بسرور .. ولم أكن أعلم من قبل مدى قدرة هذا الضابط البحرى على صب كل هذا القدر من اللعنات والشتائم .. فقد استمر فى ذلك نحو عشر دقائق دون أن يكرر أية لعنة أو شتيمة ذكرها !!

اختفى نصف القمر ، وبدأ الظلام يخيم وتختفى ملامح الوجوه الواجمة . وأخيرا صاح سكراجا :

- ان القمر يموت .. هؤلاء السحرة البيض يقتلون القمر !

وبحركة هى مزيج من الخوف والغضب .. رفع سكراجا رمحه ، وقذفه بكل قوته فى صدر السير هنرى .. وارتد الرمح ولم يصبه بأذى لأنه كان يرتدى الدرع الحديدى تحت ملابسه .. ثم التقط السير هنرى الرمح وقذفه نحو سكراجا فاخترق صدره ، وسقط سكراجا ميتا .

وأخذ الظلام يزداد ويزداد فى تلك اللحظة .. وازداد بالتالى هلع الفتيات وخوفهن من هذا الظلام الزاحف .. واستولى عليهن نوع من الجنون ، فأخذن يجرين نحو البوابة .. وهن يصرخن صرخات مرعبة .. وهرب الملك وحراسه .. وهربت جاجول ودخلوا جميعا الى كوخ الملك طلبا للحماية . وخلال دقيقة واحدة لم يعد فى الساحة الواسعة غيرنا .. ومعنا الفتاة فولاتا .. والمحارب العجوز انفادوس .. والرؤساء الذين حضروا الينا فى الليلة الماضية وكانت جثة سكراجا ملقاة على الأرض بالقرب منا . وقلت للرؤساء الذين كانوا يقفون مشدوهين من هول الموقف :

ـ والآن أيها الرؤساء .. اذا كنتم قد اقتنعتم بالعلامة السحرية .. فهيا بنا نذهب جميعا الى المكان الذى حددناه بالأمس .

وقبل أن نصل الى بوابة الخروج ، كان القمر قد اختفى كلية ، وحل ظلام دامس .. وتلمسنا طريقنا فى هذا الظلام وكل منا يمسك بيد الآخر ..

الفصل الثانى عشر

قبل المعركة

وصلنا الى التل المتفق عليه ، والذى تجمع عنده كل الجنود التابعين لانفادوس وللرؤساء الستة .. وكان الجنود قد استيقظوا فزعين من نومهم ، يرتجفون خوفا من تلك الظاهرة الطبيعية التى اختفى بسببها وجه القمر .

وعندما دخلنا الى الكوخ المخصص لنا فى وسط

المكـان ، وجدنا بعض الرجال فى انتظارنا ·· وكان هؤلاء الرجال قد أحضروا معهم كل حاجياتنا التى تركنا فى « لوو » كمـا أحضروا أيضا بقية الملابس الخاصة بالكابتن جود ·

وصاح الكابتن بفرح عندما رأى ملابسـه وقـد عادت اليه · وشرع على الفور فى ارتدائها ·· وقال له انفادوس بصوت حزين :

ـ هل سـيعطى السـيد سـاقيه البيضـاوين الجميلتين ؟!

وعندما أشرقت شـمس الصباح ·· اسـتيقظ الجنود وتجمعوا ·· واشترك اجنوسى مع انفادوس فى استعراض الجنود صفا صفا ·· وكان الجنود يصيحون عندما يقترب منهم اجنوسى : « كوم ! ·· كوم !! » ·· الأمر الذى يؤكد اعترافهم بأن اجنوسى قد أصبح الملك الذى تؤدى اليه التحية الملكية ·

وقضينا اليوم كله فى تجهيز المكان وتجهيز خطط ووسائل الدفاع عنه ·· وقبيل منتصف الليل قمنا مع

انفادوس وبعض الرؤساء الكبار بعمل جولة تفتيشية في جميع أنحاء المعسكر ·· وعندما عدنا كان الآلاف من الجنود قد تمددوا على الأرض واستغرقوا في النوم··

وفي ضوء القمر الساطع كانت حرابهم ورماحهم تلمع وتتلألأ ·· وكانت رياح الليل الرطبة تحرك الريش الذي كان يزين رؤوسهم · وتساءل **السير هنري قائلا :**

ــ ترى ·· من من هؤلاء الجنود سيظل حيا حتى مثل هذا الوقت من مساء الغد ·· ؟

فهززت رأسي ولم أحر جوابا ·

غدا ستكون المعركة وسيسقط الآلاف والآلاف ·· وربما سنسقط نحن أيضا ونموت ·· ولكن الشيء المؤكد الذي سيبقى دائما ·· هو أن الشمس ستسطع على هذا المكان في كل نهار ·· وستعبث الرياح بالأعشاب وسيقان الشجر ·· وستظل هذه الأرض الواسعة كما كانت قبل أن نوجد ·· وكما ستكون بعد أن ننتهي وينسانا الزمن ··

ان الانســان يولد ويعيش ويمــوت ويدفن فى الأرض ويتلاشى وينسى اسمه ·· ولكن الهواء الذى دخل الى رئتيه وخرج منهما سيظل باقيا ·· يهب مع النسيم ومع الرياح ·· وستظل الكلمات التى نطق بها تدور وتدور كالموجات يتردد صداها فى فضاء لا نهائى تملأه الكواكب والنجوم ··

الفصل الثالث عشر

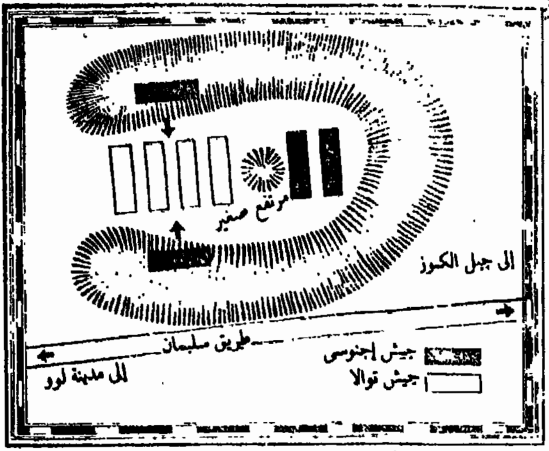
المعركة

وقبيل مشرق الشمس استيقظنا ، وارتدينا الملابس المناسبة للمعركة التى نحن مقبلون عليها .. وارتدى السير هنرى ملابس مماثلة للملابس التى يرتديها المحاربون من أهالى كوكوانا .. وأصبح منظره مثيرا للاعجاب والدهشة .

وخرجنا الى ساحة الميدان .. وشاهدنا انفادوس

واقفا على رأس جيشه من « الرماديين » ٠٠ وهم من أشجع محاربى كوكوانا وأحلاهم منظرا ٠٠ وانضم الينا اجنوسى ٠٠ وتطلعنا الى بعيد حيث رأينا جيش توالا وهو يخرج من مدينـة « لوو » ٠٠ زاحفا فى طابور طـويل مثل طوابـير النمل ٠ **وقال اجنوسى مخاطبـا انفادوس :**

ـ يا عمى انفادوس ٠٠ ان قلبى ثابت وشجاع ٠٠ وفرصتنـا الوحيدة أن نوجه الى توالا وجيشـه ضربة قاضية ٠٠ ان التل الذى نعسكر فيه له شكل مثل هلال القمر أو مثل حدوة الحصان ٠٠ وهذا الشكل سيكون فى صالحنا بكل تأكيد ٠٠ ان طرفى هذا الهلال يحيطان بساحة واسعة ستجرى فيها المعركة ٠٠ وهذه الساحة ضيقة عند مدخلها كما ترى ولا تسع الا مرور فرقة واحدة من فرق الجيش المهاجم ٠٠ ومعنى ذلك أن توالا لن يهجم علينا بجيشه كاملا ٠٠ بل سيدخل الينا هذا الجيش فرقة بعد فرقة ٠ لذلك فمن الأفضل يا عمى أن تقف بجيشك من الرماديين فى بطن الساحة



خطة معركة التل ذى الشكل الهلالى

الواقعة بين طرفي التل (١) .. وتقف وراءكم فرقة اخرى من جيشنا .. بينما تقف فرقتان أخريان من جيشنا عند أعلى طرفى التل .. فرقة بأعلى كل طرف .. وعندما يرى توالا جيش « الرماديين » فسوف يتقدم بسرعة لمحاولة القضاء على هذا الجيش .. ولكن، لأن المدخل ضيق بين طرفي التل ، فلن يتمكن جيش توالا من الدخول الا فرقة وراء فرقة .. وعندما يبدأ القتال ويستمر سيواجه جيش الرماديين الفرقة الأمامية فقط من جيش توالا .. بينما تتجمع فرق جيشه الأخرى وراء هذه الفرقة الأمامية لتنتظر دورها في القتال .. وستكون هذه هي فرصتنا الذهبية .. فسوف ننقض على جيش توالا من كل جانب ونقضى على هذا الجيش نهائيا ونفنيه عن آخره .. !

وقد تمت كل هذه الترتيبات بمنتهى السرعة فقد كان الجنود مدربين على التحرك السريع تدريبا جيدا .. وكنت واقفا مع السير هنرى للاطمئنان على تحرك الجنود الى مواقعهم ، حين جاءنا الكابتن وقال :

---

(١) انظر خريطة المعركة .

ـ وداعا أيها الرفاق ٠٠ انى ذاهب مع الفرقة التى سترابط بأعلى الطرف الأيمن من طرفى التل ٠٠ ولقد جئت لأقول لكما وداعا ، فربما لن نلتقى بعد ذلك مرة أخرى ٠٠ !

وقال السير هنرى ايضا :

ـ انهـا مهمة غريبـة ٠٠ وأنا لا اتوقع أن أرى شمس الغد ٠٠ فسوف أتخذ مكانى بين « الرماديين » الذين سيحاربون حتى آخر رجل منهم ٠٠ فان عليهم أن يستمروا فى الحرب حتى تتجمع فرق جيش توالا وحتى تتاح الفرصة لجيوشنا أن تلتف حول جيوش العدو ٠٠ ولكن : فليكن ما يكون ٠٠ فان أى انسان مصيره الموت فى النهاية ٠٠ وداعا يا رفاقى ٠

وتصافحنا ٠٠ وافترقنا ٠٠

ذهب السـير هنرى مع انفـادوس حيث تقدما الصف الأول من فرقة الرماديين ٠٠ وتوجهت أنا لكى أتقدم الصف الأولى من الفرقة التى سـتقف خلف الرماديين والتى أخذت موقعها على أرض مرتفعة قليلا خلف آخر صف من صفوف الرماديين ٠

في هذه الأثناء كان جيش توالا قد اقترب كثيرا من مواقعنا ·· ويبدو انهم لمحوا « الرماديين » وهم يتحركون في بطن التل ·· فقرروا ان يسرعوا بالهجوم على الرماديين قبـل أن يخرجوا من بين طرفى التل لملاقاتهم فى الوادى ·· وعلى هذا بدأ جيش توالا فى الدخول الى المنطقة التى تفصل بين طرفى التل ·· واكتشفوا أنها منطقة ضيقة وانهم ســيضطرون الى الدخول من تلك الفتحة فرقة وراء فرقة ·

تقدمت الفرقة الأولى من جيش توالا واندفعت نحو الرماديين الذين ظلوا ثابتين فى أماكنهم متحفزين للهجوم المضاد ·· وعندما أصبحت المسافة التى تفصل بين الجيشــين لا تزيد عن أربعــين ياردة ·· اندفــع الرماديون مرة واحدة وهم يصيحون صيحات الحرب ·· ويشرعــون رماحهــم نحو العدو ·· وعندما اصــطدم الجيشان واصطدمت دروع الجنود ، كان لهذا الاصطدام صــوت كهدير الرعد ·· والتحم الطرفان فى قتــال وحشى استمر لبعض الوقت وكانت نتيجته فناء الفرقة

الأولى من جيش توالا ٠٠ وموت نحو ثلث عدد الجنود الرماديين البواسل ٠٠

كنت قلقـا على مصـير السير هنرى ٠٠ وظللت أحاول العثور عليه أثناء الالتحام ٠ ولكن غبار المعركة وتداخل جنود الجيشين فى بعضهما جعلا من المستحيل رؤيته وسط كل هذه المعمعة ٠٠ أما الآن بعد انتهاء تلك الهجمة الأولى ، فقد لمحت السير هنرى وهو منهمك فى اعادة تنظيم صفوف الجنود ٠٠ وحمدت الله لأنه لم يزل حيا ٠٠

تكررت بعد ذلك الهجمات والهجمات المضادة ٠٠ وكان جيش توالا أكثر عددا ، ولكن الرماديين كانوا أكثر قوة وبسالة ٠٠ ومع ذلك فقد سقط الكثيرون منهم وأصبحوا بالتالى أقل عددا ٠٠ حتى خشينا أن يفنى الرماديون عن آخرهم ٠٠ وكان الباقون منهـم يواصلون القتال فى استبسال عنيف رائع ٠٠ وكان السير هنرى يبدو منهمكا بكل قوته وحيويته فى تلك الحرب ، يطيح ببلطته الحربية الحادة ذات اليمين وذات اليسار دون أن تخيب منه ضربة واحدة ٠

وفجأة سمعنا أصواتا عالية تقول : « توالا .. توالا ! » .. ثم ظهر الملك توالا بجثته الضخمة وهو يحمل فى يده رمحا قويا ونادى بأعلى صوته :

- أين الرجل الأبيض الذى قتل ابنى .. هل يريد أن يجرب حظه ويقتلنى أنا أيضا ..

وفى لمح البصر قذف توالا برمحه بكل قوته مصوبا نحو السير هنرى ، الذى أسرع بالتقاط الرمح بدرعه .. ثم اندفع نحو توالا بأقصى سرعة وضربه بالبلطة ضربة قوية تلقاها توالا على درعه ..

وفى هذه اللحظة سمعنا صيحات يأس عالية يرددها جيش توالا بأكمله .. فقد أطبقت عليه جيوشنا التى كانت فوق طرفى التل .. واندفعت فرقتنا أيضا من بطن التل وبذلك دخل جيش توالا فى المصيدة التى أعدت له وهو منهك القوى غير قادر على مواصلة القتال فى مثل هذه الحالة .

وخلال خمس دقائق كانت نتيجة المعركة قد تحددت بصفة نهائية .. فقد سقط الآلاف من جنود

توالا قتلى .. وسقط الآلاف جرحى .. وفر الباقون هاربين من أرض المعركة يجرون أذيال الخيبة والهزيمة. واتجه الفارون ومعهم توالا الى مدينة « لوو » وكان من المحتم علينا أن نتتبعهم الى هناك ..

وزحف جيشنا وفى مقدمته اجنوسى الى مدينة « لوو » .. وعندما وصلنا الى أول بوابة من بوابات المدينة رأينا بعض جنودنا وقد سبقونا الى احتلالها .. ووقف هؤلاء الجنود يؤدون التحية الملكية لاجنوسى .. وأخبرنا قائد هؤلاء الجنود بأن فلول جيش توالا قد لجأت الى داخل المدينة ، وأن توالا نفسه قد لجأ الى قصره .. وانه مستعد للتسليم والاعتراف بالهزيمة .

وأعلن اجنوسى وعدا ملكيا بأنه سيعفو عن كل من يلقى سلاحه .. وأرسل رسله لاعلان هذا العفو فى كافة أرجاء المدينة .

ودخلنا من البوابة الرئيسية .. وسارت طوابيرنا المنتصرة وسط طابورين من جنود توالا المهزومين .. كانوا منكسى الرؤوس .. وألقوا برماحهم

وحرابهم ودروعهم تحت أقدامهم ·· وتوجهنا فورا الى حيث يقع كوخ الملك توالا ··

كانت الساحة الواسعة خالية تماما ·· تلك الساحة التى طالما شهدت الكثير من المآسى والمظالم وعمليات القتل الرهيبة التى كانت تتم تنفيذا لأوامر الملك الظالم وأوامر الساحرة العجوز الشريرة جاجول ··

وأمام بوابة كوخ الملك جلس شخصان اثنان ينتظران مصيرهما المحتوم ·· أحدهما كان الملك توالا ·· وثانيهما الساحرة العجوز جاجول ··

كان توالا يجلس حزينا منكس الرأس ، وقد ألقى بدرعه وبلطته الحربية على الأرض تحت قدميه ·· ولم يكن هناك جندى واحد من حراسه أو من جلاديه ·· بل ولم تكن هناك ولا زوجة واحدة من زوجاته تشاركه همومه ومصيره التعس ·· أنه يتعلم الآن الدرس الذى يعلمه القدر للناس ·· فعندما يعلو قدر الانسان ولو ظلما ، فان العديد من الناس يحيطون به ويلتفون

حوله ٠٠ أما عندما يسقط الانسان فان الجميع ينفضون من حوله ويبتعدون عنه تاركين اياه ليواجه مصيره وحده ٠٠

وتقدم اليه اجنوسى ونحن وراءه ٠٠ وكانت جاجول تصب علينا لعناتها وشتائمها ٠٠ وعندما أصبحنا أمامهما مباشرة ، رفع توالا رأسه ، وبعينه الواحدة ذات النظرات القاسية ، نظر الى اجنوسى **وقال في صوت لا يخلو من الحقد والغضب :**

ـ تحية لك أيها الملك ٠٠ ما هو المصير الذى أعددته لى أيها الملك ٠٠ ؟!

فقال اجنوسى بهدوء :

ـ نفس مصير أبى ٠٠ الذى لقيه على يديك !

وقال توالا :

ـ حسن ٠٠ ولكنى أطالب بحقى باعتبارى من البيت الملكى ٠٠ وهو أن أموت وأنا أحارب ٠٠ فأنت تعلم أن القوانين الملكية فى كوكوانا تمنع الحكم على

الملك بعقوبة الاعدام •• وان أي شخص من البيت المالك أو تجرى فى عروقه دماء ملكية له حق اختيار أى شخص يحاربه وينازله فى قتال مشهود •• فاذا قتل هذا الشخص يحل محله شخص آخر •• وهكذا•• الى أن يتمكن أحدهم فى النهاية من قتل الأمير أو الملك ••

وقال اجنوسي موافقا :

ـ انى أضمن لك حق اختيار من يحاربك •• لأنى لا أستطيع أن أحاربك بنفسى •• فالملك لا يحارب الا فى ساحة المعركة وفى ميدان القتال ••

ابتسم توالا عندئذ ابتسامة شريرة ، وأخذ ينقل نظرات عينه الواحدة بيننا ببطء •• حتى خيل الى أن تلك النظرات قد تركزت على وجهى ، وانه اختارنى أنا أولا ليقتلنى •• ثم يقتل رفيقى من بعدى •• واحدا وراء الآخر •• قبل أن يموت هو فى النهاية •• **وساءلت نفسي :** ترى ماذا سوف أصنع مع هذا العملاق الذى يبلغ طوله أكثر من ستة أقدام وخمس

بوصات ؟! ·· وقررت بيني وبين نفسي أني سارفض قتــاله اذا اختارني ·· ولــو تعرضـــت بسبب ذلك لسخرية الجميع ··

ولكن عين توالا تجاوزتني واستقرت على السير هنرى ·· وقال توالا هازئا :

ــ ما رأيك في أن نواصل القتال الذي بدأناه صباح اليوم ·· أم انت تخاف مني ·· ؟!

عندئذ تدخل اجنوسي وقال بسرعة :

ــ لا ·· لن أوافق على اختيارك لهذا الرجل ··

وقال توالا مستمرا في سخريته :

ــ اذن ·· فهو خائف مني !

ولسوء الحظ فقد فهم السير هنرى هذه الجملة الأخيرة ·· فاشــتعل غضبا وكاد الدم أن ينفجر من خديه ·· وقال متحديا :

ـ سأحاربه ٠٠ وسترى يا توالا بنفسك اذا كنت خائفا منك أم لا ٠٠

فتدخلت على الفور ، وحاولت ان أثنى السير هنرى عن قراره المتهور . **وقلت له :**

ـ أرجوك يا سير هنرى بحق السماء ٠٠ ألا تخاطر بحياتك وتحارب شخصا يائسا يعرف أن مصيره هو الموت في النهاية ٠٠ !

فقال السير هنرى بصوته الهادىء :

ـ سأحاربه ٠٠ وسوف أقضى عليه ٠٠ لم يخلق الى الآن شخص يمكن أن يصفنى بالخوف ٠٠ قولوا له انى مستعد ٠٠

وتقدم السير هنرى وأمسك بالبلطة ٠٠ ورفعها الى أعلى علامة على استعداده ٠٠ ورفع توالا أيضا بلطته الى أعلى ٠٠ ووقف الغريمان ، كل منهما في مواجهة الآخر ٠٠ وكل منهما يتربص بالآخر ٠٠ ودارا حول بعضهما دورات قليلة ٠٠ وبدأ الاشتباك المروع ٠٠

فجأة .. وبحركة مباغتة .. رفع السير هنرى بلطته الى أعلى ما يستطيع وهوى بها بكل قوته على توالا الذى قفز جانبا وأفلت باعجوبة من تلك الضربة القاتلة .. ولكن من شدة الضربة الطائشة وعنفها اندفع السير هنرى وهوى على ركبتيه .. وانتهز توالا هذه الفرصة السانحة ورفع بلطته الثقيلة الضخمة وهوى بها على السير هنرى .. !

انخلع قلبى وكاد أن يقفز من صدرى ، وأغمضت عينى حتى لا أرى هذه النهاية المؤلمة !

ولكن لحسن الحظ تدارك السير هنرى الموقف بمنتهى السرعة وتلقى الضربة على سطح الدرع الذى رفعه بيده اليسرى فانكسر الدرع وتحطم .. وهب السير هنرى واقفا على قدميه مرة أخرى .. وكان أكثر حيوية وتحفزا ..

وكان الكابتن جود قد أصيب فى قدمه أثناء المعركة التى دارت عند التل صباح اليوم ، وكان راقدا فى حالة اعياء كامل بالقرب من المكان الذى كنت أقف

فيه وأتابع هـذا القتـال العنيف المرعب الذى يجرى أمامى .. وأفاق الكابتن قليلا وتنبه بدوره الى صوت هذا القتال الذى كان يدور بين توالا والسير هنرى .. وتحامل الكابتن جود على نفسه ، واستند الى ذراعى ، ووقف على قدم واحدة **واخذ يصـيح مشجعا السـير هنرى :**

ـ اضربه .. خلص عليه .. هذه ضربة جيدة.. وهذه أيضا .. اضربه بقوة.!!

وسدد السير هنرى ضربة قوية حطمت درع توالا وجرحته فى كتفه فصاح صيحة ألم فظيعة .. ومن شدة الألم رد توالا هذه الضربة القوية بضربة مماثلة هوى بها على السير هنرى فتحطمت يد البلطة وصرخ جميع المشاهدين صرخة يائسة تعبر عن النهاية الأليمة المتوقعة .. وأغمضت عينى مرة أخرى ..

ولكنى فوجئت بما لم أتوقعه ..

رأيت السير هنرى وقد شهر سكينه .. وانقض بكل جسمه على جسم توالا وسقط الاثنان على الأرض.. وأمسك كل منهما بالآخر وأخذا يتدحرجان معا .. وكل منهما يريد ان يتمكن من الآخر ويطعنه الطعنة الأخيرة التي تتوقف عليها نتيجة القتال لصالح المنتصر ..

كان السير هنرى يريد استعمال سكينه لتسديد تلك الطعنة ، وكان توالا يحاول استخدام بلطته فى الضربة القاضية . ولكن استخدام البلطة أثناء الانبطاح على الأرض يعتبر أمرا صعبا للغاية . ولم يكن أمامه الا استخدام سكينه هو الآخر .. وبحركة مبغتة منه سدد طعنة خاطفة الى وجه السير هنرى فجرحه جرحا بسيطا ولكن الدماء سالت بغزارة .. ثم سدد اليه طعنتين أخريين فى صدره ، ولكن السير هنرى لم يصب بأذى بسبب الدرع الحديدى الذى كان يرتديه تحت ملابسه ..

وصاح الكابتن مواصلا تشجيعه للسير هنرى :

ـ اخلع منه بلطته واضربه بها .. !

ولا أدرى اذا كان السير هنرى قد سمع هــذا النداء أم لا ·· وربما كان يحاول أن يفعل ذلك من قبل ·· وعلى أية حال فقد أخذ السير هنرى يجذب يد البلطة التى كانت معلقة بكتف توالا بحبل مجدول من الجلــد ·· وأخذ يجذب ويجذب بكل قوته الى أن انقطع الحبل فى النهاية. وأصبحت البلطة أخيرا فى يد السير هنرى ··

وفى لمح البصر نهض السير هنرى من على الأرض وحاول توالا أن ينهض وقفز فعلا بجسمه الى أعلى ·· ولكن ضربة قوية محكمة ســددت اليــه بكل عنف . فأطاحت برأسه ·· وعلى أثرها سقط السير هنرى مغمى عليه بسبب كثرة الدماء التى نزفها ·· !

الفصل الرابع عشر

في قاعة الموتى !

وبعد انتهاء القتال على هذا النحو ، حمل كل من السير هنرى والكابتن جود الى داخل الكوخ الملكى الذى كان مخصصا من قبل للملك توالا .. وخلال أيام قليلة اندملت جراح السير هنرى ، وفى نفس الوقت ازدادت وطأة المرض على الكابتن جود .. بالرغم من شدة العناية التى بذلتها الفتاة الجميلة « فولاتا » في تمريضه .

وفى كل يوم يمر كانت حـالة الكابتن **تزداد** سوءا حتى أصبحنا نعتقد أنه سيموت خـلال ساعات قليلة ‥ ولكن فولاتا وحـدها كانت متفائلة **وكانت تقول دائما وباصرار وثقة :**

ـ سيعيش ‥ سيشفى ‥ وسيعيش ‥ !

وبالفعل بدأت صحته تتحسن ببطء الى أن تم له الشفاء ۰ وأخبره السير هنرى بالجهود الكبيرة التى بذلتها فولاتا فى تمريضه والعناية به أثنـاء مرضه ۰ **فقال الكابتن شاكرا :**

ـ انى مدين لك يافولاتا بحياتى ‥ ولن انسى لك هذا الجميل أبدا ۰

وقالت فولاتا بنعومة :

ـ يبدو يا سـيدى أنك نسيت انى مدينـة لك بحيـاتى ‥ فأنت الذى انقذتنى مـن الموت عنـدما قرروا قتلى فى حفلة الرقص ‥

وبعد أن تم شفاء الكابتن تماما ، عقد اجنوسى اجتماعا كبيرا حضره جميع الرؤساء فى كوكوانا الذين اعترفوا به ملكا عليهم · وأنعم اجنوسى على جميع الجنود المتبقين من جيش عمه من « الرماديين » ·· ووزع عليهم عديدا من القطعان ·· وعينهم جميعا كضباط على جيش جديد من « الرماديين » عمل على انشائه ليحل محل الجيش القديم ··

وبعد ذلك قام اجنوسى بزيارتنا ·· وكان قد علق على جبهته الماسة الملكية الضخمة التى كانت تزين من قبل جبهة توالا ·· **وقلت له وأنا أنهض واقفا :**

ـ مرحبا بك أيها الملك !

فقال فورا :

ـ نعم لقد أصبحت ملكا ·· ولكن ذلك كان بفضل عونكم ومساعدتكم أيها الرجال الشجعان البواسل ··

سألته عن القرار الذى سيتخذه بالنسبة للساحرة العجوز جاجول • **فأجاب :**

ـ سنقتلها طبعا بسبب الجرائم البشعة التى ارتكبتها ••

ولكنى قلت له رايى بصراحة :

ـ انها تعلم الكثير من الأسرار الهامة ولديها الكثير من المعلومات المفيدة ، وقد يكون من السهل قتلها •• ولكن هذه الأسرار والمعلومات ستضيع بموتها •

فقال اجنوسى :

ـ هذا صحيح •• فهى الوحيدة التى تعرف سر « الصامتين » القابعين هناك عند نهاية الطريق العظيم •• ولكنى اكتشفت شيئا غريبا •• هناك كهف عميق فى بطن الجبل ، توضع فيه جثث ملوك كوكوانا بعد موتهم ، باعتباره المقبرة الملكية • وهناك ستجدون جثة الملك توالا « جالسة » مع جثث الملوك

السابقين الذين توفوا قبله ·· وهنـاك أيضا كهف عميق آخـــر كان يذهب اليه بعض القدماء فى الماضى البعيد ليحصلوا على الأحجار الثمينة ·· وهناك أيضا « قاعة الموتى » ·· وفيها غرفة سرية لايعـرف سرها أحد سوي جاجول وحدها ·· وقد سمعت قصة يرددها بعض الأهالى كبار السن ، تقول انه منذ سنين وستين ·· استطاع رجل أبيض أن يعبر الجبال ·· وأرشدته احدى النسـاء الى هذه الغرفة السرية ، ورأى الرجـل الأبيض الكنوز والثروات المخبوءة فى تلك الغرفة ·· وعندما أراد الرجل أن يأخذ بعضا من هذه الكنوز ، قامت المرأة بابلاغ الملك الذى كان يحكم البلاد آنئذ ·· فأمر الملك بطرده واعادته الى الجبال مرة أخرى ··

فقلت لاجنوسي :

ـ انها قصـــة حقيقية صادقة يا اجنوسى ·· فقد رأينا جثة هذا الرجل الأبيض مجمدة على الجبل حين كنا فى الطريق الى هنا ·

وقال اجنوسى :

ـ نعم ·· انى أعلم ذلك فقد رأيته معكم ·· والآن يا أصدقائى ·· اذا استطعتم الوصول الى تلك الغـرفة السرية ، فلكم أن تحصلوا على ما شئتم من الأحجار الثمينة اذا كانت هناك مثل هذه الأحجـار حقا ·· هذا اذا كنتم ترغبون فى مغادرة هذه البلاد والعودة الى بلادكم ··

قلت :

ـ يجب أولا العثور على تلك الغرفة السرية ··

وقال اجنوسى :

ـ هناك شخص واحد يستطيع أن يأخذكم الى هذه الغرفة ·· انه الساحرة العجوز جاجول ··

ـ واذا لم توافق جاجـول على أخذنـا الى تلك الغرفة ؟

قال اجنوسى :

ـ عندئذ لابد من قتلهـــا ٠٠ لقــد أبقيت على حياتها لهذا السبب وحده ٠٠ لذلك فان عليهـــا أن تختار بين الموت أو القيام بهذه المهمة ٠

وأرسل اجنوسى أحد الرجال لاستدعاء جاجول الى مجلسنا ٠٠ وجاء بها اثنـــان من الحراس كانت تسبهما وهما يحملانها ويضعانها أمامنا ٠٠ وارتمت جاجول على الأرض **وقالت مهددة :**

ـ ماذا تريد منى يا اجنوسى ٠٠ اذا كنت تريد بى الضرر ٠٠ فسوف أقتلك بسحرى ٠٠

فقال اجنوسى :

ـ ان ســـحرك لم يستطع حمـاية توالا ٠٠ ولا يستطيع أن يؤذينى ٠٠ اسمعى يا جاجول ٠٠ أريد منك أن تخبرينى بسر الغـــرفة السرية التى خبئت فيها الأحجار البراقة ٠٠

فصاحت جاجول مهللة :

ـ ها .. ها .. لا احد سواى يعلم شيئا عن سر هذه الغرفة .. ولن أخبرك بهذا السر !

ـ اذا لم تخبرينى بهذا السر فسوف آمر بقتلك ..

ـ لن أخبرك به .. ولن تجرؤ على قتلى ..

عندئذ أمسك اجنوسى برمحه وأخذ يغز به جلدها وعظامها غزا بسيطا ولكنه مؤلم .. فانتفضت جاجول وقفزت واقفة على قدميها واستسلمت قائله :

ـ سأريك اياها .. سأريك اياها .. ولكن دعنى أعيش تحت الشمس ولا تقتلنى .

ـ اذن .. غدا ستذهبين مع عمى انفادوس ومع اخوتى البيض .. ولكن احذرى .. اذا فشلت فى هذه المهمة ، فسوف يكون مصيرك القتل .. وببطء !

ـ لن أفشل في ذلك يا اجنوسى ٠٠ فأنا دائما أوفي بوعدى ٠٠ ولكن اعلم أن امرأة أرشدت رجلا أبيض الى هذه الفرقة ذات مرة ، فأصابه الشر ٠٠ وكان اسم هذه المرأة جاجول أيضـــا ٠٠ وربمـا كنت أنا هذه المرأة ٠٠ !

فقلت لها على الفور :

ـ أنت تكذبين ٠٠ فقـد حدث هذا منذ مئات السنين ٠٠

ـ ربما ٠٠ فان الانســـان الذى يعيش طويلا ينسى الكثير من الأشياء ٠٠ ربما أخبرتنى بذلك أم أمى ٠٠ فقد كان اسمها جاجول أيضــا ٠٠ وعلى كل حـــال فسـوف تجد فى هذه الغرفة حقيبـة مملوءة بالأحجـــار البراقة ٠٠ كان الرجل الأبيض قد ملأها بنفسه وأراد أن يأخذها ٠٠ ولكن الشر أصابه ٠٠

وفى صباح الغد بدأنا ٠٠ وكانت مجموعتنـا تتكون منا نحن الثلاثة ٠٠ ومعنا الفتاة الجميلة فولاتا

.. وانفادوس .. وجاجول وكانت محمولة فى هودج يحمله بعض الخدم .. وتحت غطاء هذا الهودج كنا نسمع صوتها وهى تتمتم ببعض الشتائم ..

وسار موكبنا على هذا النحو فى طريق سليمان حتى وصلنا الى سفح الجبل الأوسط ، وبدأنا نتسلق بصعوبة على سـطح الجبل المائل الذى كان مليئا بأعشاب وشجيرات كثيفة .. وكان التسلق فى غاية الصعوبة خصوصا بالنسبة للخدم الذين كانوا يحملون جاجول فى هودجها .

وأخيرا رأينا أمامنا ثقبا هائلا فى بطن الجبل يمتد عمقه الى نحو مائة قدم أو يزيد . وعندئذ سألت السير هنرى :

ـ هل تعرف ما هذا الثقب الهائل ؟

فهز رأسه ولم يجب .. وقلت :

ـ من الواضح انك لم تر من قبل مناجم الماس

فى « كمبرلى » (١) •• من المؤكد أن هذا هو المنجم الذى أخرجت منه كنوز سليمان •

وقرب المكان الذى يوجد فيه هذا الثقب ، كان الطريق يتفرع الى فرعين يلفان حول مدخل الثقب ؟ فواصلنا السير فى أحد هذين الطريقين لنتمكن من رؤية الأشكال الغريبة الثلاثة التى كنا نراها من بعيد ولانعرف كنهها •• وعندما أصبحنا قريبين من هذه الأشكال العجيبة الضخمة بدأت معالمها تتضح لنا تماما •• كان هؤلاء « الصامتون » عبارة عن تماثيل ضخمة لأشكال آدمية •• التمثال الأوسط منها كان على شكل امرأة ، ولكن وجهها كان محطما بفعل العوامل الجوية •• أما التمثال الأيمن فكان على شكل رجل له وجه يشبه الشيطان •• وكان التمثال الأيسر على شكل رجل آخر ذى وجه هادىء وان كانت تتبدى فيه ملامح القسوة •

---

(١) مدينة فى جنوب افريقيا مشهورة بمناجم الماس •

وكان الرجال الذين يحملون جاجول قد لحقوا بنا ٠٠ فأنزلوا الهودج على الأرض وساعدوها على الخروج منه ٠٠ وكانت فولاتا قد أعدت لنا سلة نأخذها معنا فيها بعض اللحم المجفف وانائين من الماء ٠

كان أمامنا مباشرة حائط صخرى مرتفع ، يبلغ ارتفاعه أكثر من ثمانين قدما ٠٠ وتقدمتنا جاجول وهى تتعكز على عصا فى يدها ، وتمسك فى يدها الأخرى مصباحا صغيرا ٠٠ وكانت توجه لنا بين حين وآخر نظرات حادة ملؤها الحقد والشر ٠٠ وببطء وتؤدة تقدمت جاجول نحو الحائط الصخرى ٠٠ ومشينا خلفها الى أن وصلنا الى باب ضيق ٠٠ توقفت عنده جاجول وهى تواصل تسديد نظراتها الشريرة الحقود ٠٠

وقالت لنا :

ـ والآن ٠٠ أيها الرجال البيض الذين جاءوا من النجوم ٠٠ هل أنتم مستعدون ٠٠ انى هنا لأنفذ



..دخلنا وراء جاجول ..

أوامر الملك لأريكم المخزن الذى يحتوى على الأحجـار اللامعة البراقة ٠

قلت لها :

ـ نحن مستعدون ٠٠

ـ اذن ٠٠ جمدوا قلوبكم حتى تستطيعون تحمل ما سوف ترونه ٠٠ هل ستحضر معنا يا انفادوس ٠٠؟

فاجاب انفادوس :

ـ لا ٠٠ سأبقى هنا فى انتظـاركم ٠٠ ليس مسموحا لى أن أذهب الى هنـــاك ٠٠ ولكنى أحذرك ياجاجول ٠٠ يجب أن تحافظى عـلى هؤلاء الســـادة البيض وتحسنى معاملتهم ٠٠ واذا مسست ولو شعرة واحدة منهم بأى ضرر ٠٠ فســـوف يكون مصـيرك القتل ٠٠ هل تسمعين ؟!

ـ نعم أسمع ٠٠ انى هنا لأنفذ أوامر الملك ٠٠ وكم نفذت أوامر الملوك مـن قبـــل ٠٠ كنت أنفذ

اوامرهم كما كانوا هم ينفذون أوامرى ·· ها ·· ها·· هأنذا ذاهبة لأرى وجوههم مرة أخرى ·· وسـأرى توالا أيضـا ·· تعالوا معى ·· اتبعونى ·· تتبعوا نور المصباح الذى أحمله !

وقبل أن نبدأ المسير وراءها ، **قال الكابتن جود مخاطبا فولاتا :**

ـ هل ستذهبين معنا يا فولاتا ؟

فقالت الفتاة الجميلة :

ـ انى أخاف ياسيدى ··

ـ اذن أعطنى السلة !

ـ لا ياسيدى سأحمل السلة وأذهب الى حيث ستذهب ·· !

ومشينا ·· ودخلت جاجول من البـاب الضيق ودخلنا خلفها ·· كان البـاب يؤدى الى ممر ضـيق لايسع سوى اثنين فقط يسيران جنبا الى جنب ··

وكان الممر مظلما ٠٠ ولكن بعد أن سرنا نحو خمسين ياردة بدأ يهل علينا نور خافت يأتى من أعلى ٠٠ وبعد دقيقة واحدة ، وجدنا أنفسنا وسط أعجب مكان ممكن أن تقع عليه عين انسان ٠٠ !

قاعة واسعة جدا وعالية جدا ٠٠ ليس فيهـا نافذة واحـدة ٠٠ مظلمة الا من ذلك الضـوء المعتم الخافت الذى يتسلل اليها من أعلى ٠٠

وفى جوانب تلك القاعة شاهدنا ما يشـبه الأعمدة أو الأبراج العمـلاقة وكانت كلهـا تبـدو كمـا لو كانت مصنوعة من الثلج ٠٠ ولكنهـا فى الحقيقة عبارة عن تكوينات طبيعية نتجت من تساقط قطرات المياه من أعلى السقف ٠ وكل قطرة منهـا كانت تحتوى على أملاح معينة تتحول بمرور الزمن الى مادة شفافة تشبه الثلج ٠ وبمرور مئات السنين تكونت هذه الأشكال التى تشبه الأعمدة والأبراج الضخمة ٠٠

وقد يكون من الصعب أو من المستحيل أن أصف جمال هـذه التكوينات التى يصـل عرضها بعضها عند

القاعدة نحو عشرين قدما ، والتى تمتد فى سموق الى أعلى نحو سقف الكهف الواسع ، حتى تصبح دقيقة مثل الابر الطويلة قرب السقف •

وفى خلال بضع دقائق رأينا كيف تكون الطبيعة هذه التكوينات الجميلة الرائعة • فقد سقطت قطرة ماء محدثة صوتا لطيفا •• وشاهدناها وهى تسقط من أعلى السقف الى قاعدة أحد التكوينات •• وقد تمر ألف سنة بأكملها حتى تصنع مثل هذه القطرات تكوينا يرتفع الى قدم واحد •• ان الطبيعة تعمل ببطء ولكنها تعمل باستمرار ودون توقف •

لم نتوقف كثيرا حتى نرضى رغبتنا فى التمتع بتلك التكوينات الخلابة •• فقد كانت جاجول تريد أن تنتهى من عملها •• لذلك فقد عاودت تقدمها وعاودنا المسير وراءها •• ووصلت بنا الى باب ضيق آخر • ووقفت جاجول قرب الباب وقالت لنا وهى تحاول اغاظتنا ومضايقتنا :

ـ هل أنتم مستعدون للدخول الى قاعة الموتى أيها الرجال البيض ٠٠ ؟

فاجابها الكابتن جود :

ـ استمرى فنحن لا نخاف شيئا ٠ ٠

وبالفعل كنا جميعا متماسكين ورابطى الجأش ٠٠ عدا الفتاة الجميلة فولاتا التى كانت تبدو عليها مظاهر الخوف وامسكت بذراع الكابتن جود طلبا لحمايته ٠

وبمجرد دخولنا الى الممر الضيق الذى يؤدى اليه الباب ، وقف السير هنرى مترددا بعض الشىء ، **وقال لى :**

ـ يبدو أن الأمور قد بدأت تسوء ٠٠ تقدم يا كوترمين فانك أكبر سنا ويجب أن تكون لك القيادة هيا ٠ ٠سر أمامنا ونحن سنتبعك ٠٠

وأفسح لى الطريق لكى أمر أمامه ٠٠ وسـمعت دقات العصا التى تتعكز عليها جاجول وهى تسـبقنا

وتسرع في خطوها داخل الممر ·· وأحسست وكأنها بهذا الاسراع كانت تريد بنا شرا · لذلك فقد توقفت عن المسير لحظة ، الى أن دفعني الكابتن مرة أخرى وهو يقول :

ـ تقدم يا رفيقي العجوز ·· تقدم والا فقدنا خطوات مرشدتنا الجميلة !

وتقدمت نحو عشرين خطوة · فوجدت نفسى داخل غرفة واسعة ، طولها نحو أربعين قدما ، وعرضها نحو ثلاثين قدما ويبدو أنها قد حفرت يدويا فى قلب الجبل · ولم تكن مضاءة مثل تلك الاضاءة الخافتة التى شاهدناها فى كهف التكوينات الطبيعية ·

وبالرغم من الظلام ، فقد بدأت عيناى تتكيفان وتريان المعالم غير الواضحة تماما للأشياء الموجودة وكان أول ما تبين لى مائدة حجرية طويلة بطول الحجرة كلها ، ويجلس على رأسها هيكل ضخم أبيض اللون ويجلس على جانبيها مجموعة أخرى من الهياكل

البيضاء .. لم يبق لى بعد ذلك هيكل بنى يجلس فى منتصف المائدة .

وبعد أن تعودت عيناى على الرؤية خـــلال هذا الظلام .. وعرفت ما هية هذه الهياكل الجالسة حول المنضدة .. اصابنى الفزع فجاة ، فجريت وخرجت من الغرفة باقصى ما استطيع من سرعة !!

انا لا اخاف عادة من مثل هذه الأشياء ، ولكنى لا أنكر ان ما رايته قد خلع قلبى رعبا .. ولولا ان السير هنرى قد أمسك بى لكنت قد خرجت من هذا الكهف كله مقسما بأنى لن أدخله مرة أخرى ولو كان ذلك فى سبيل الحصول على أحجار الماس الموجودة فى العالم بأجمعه !

امسكنى السير هنرى بقوة ، ولم أستطع المقاومة لانى كنت غير مسيطر على أعصابى .. وعندما تكيفت عيون الجماعة كلهم على رؤية الأشياء وسط الظلام الذى كان يلف الغرفة بما فيها .. رأيت السير هنرى

وقد أخرج منديله وأخذ يجفف حبات العرق الباردة التي تدفقت فجأة من جبهته .. ورأيت الكابتن جود وهو يتمتم بشتائمه ولعناته .. أما فولاتا فقد تعلقت برقبة الكابتن وأخذت تبكي من شدة خوفها .. جاجول وحدها هي التي أخذت تضحك وتضحك ..

كان المنظر مخيفا ومرعبا .. فعلى رأس المائدة ، كان يجلس الموت نفسه .. ممسكا بعظام أصابع يده رمحا طويلا ضخما أبيض اللون . وقد شــــكل هذا الهيكل البشع على شكل الانسان أو بالاحرى على شكل الهيكل العظمي للانسان .. وكان ارتفاعه يبلغ نحو خمسة عشر قدما أو يزيد .. وكان ارتفــاع الرمح أكثر من ذلك بكثير .. وكانت طريقة امساكه بالرمح تجعله يبدو وكأنه يصوبه نحو صدر كل من يدخل الغرفة .. **وصحت قائلا :**

ـ يا الهي .. ما هذا .. ؟!

وأشار الكابتن الى الهياكل البيضـــاء الأخرى الجالسة على جانبي المائدة .. **وصاح قائلا :**

ـ وما هي هذه الأشياء الغريبة ·· ؟!

وضحكت جاجول عاليا وهي تجيب تساؤلنا :

ـ هيه ·· هيه ·· كل من تجرأ على الدخول الى قاعة الموتى سيلحق به الشر ·· وأنت يا من كنت تحارب بشجاعة فى المعركة ·· تعال لترى الرجل الذى قتلته بيديك ·· !

ومدت جاجول يدها العجفاء ، وسحبت السير هنرى من طرف معطفه ·· وتوقفت عند الهيكل البنى اللون الجالس فى منتصف المائدة ، وأشارت اليه ·· فصاح السير هنرى صيحة اندهاش وتعجب ·· فقد كان هذا الهيكل عبارة عن جثة توالا المقطوعة الرأس تجلس عارية تماما والرأس المقطوعة موضوعة على ركبتيها · وكانت الجثة نفسها تبدو كما لو كانت مغطاة بطبقة زجاجية شفافة !

لم نفهم ما جرى لتلك الجثة لأول وهلة ·· ولكننا لاحظنا أن قطرات من الماء كانت تخر من السقف

قطره وراء آخرى وتنزل أولا على رقبة الجثة ثم تسيل بعد ذلك على الجثة كلها .. وبنفس الطريقـة التى تكونت بها التكوينـــات الطبيعية التى شاهدناها فى الكهف .. تحولت جثة توالا الى حجر أصم .. !

وهذا هو ما حدث بالضبط بالنسبة لبقية جثث الملوك الأخرى التى كانت تجلس على جانبى المائدة .. كانت كلها قد تحولت الى أحجار صماء ! . وكانت تلك هى الطريقة التى ابتدعها قدماء أهالى كوكوانا ، لحفظ جثث الملوك الذين اعتلوا عرش بلادهم .. !

الفصل الخامس عشر

كنوز سليمان

قفزت الساحرة العجوز الى سـطح المائدة ·· ووقفت أمام تمثال الموت الأكبر ، وأخذت تهذى بكلمات غامضة ·· لاشك فى انها كانت تؤدى صلاة شريرة لغرض من اغراضها السيئة ·· **فقلت احثها على الاسراع :**

ـ هيا يا جاجول ·· هيا بنا الى غرفة الكنوز··!

فنزلت من سـطح المائدة وقفزت الى الأرض وقالت :

ـ مادمتم لم تخافوا من قاعة الموتى ، فسوف أقودكم الى غرفة الكنوز ..

ومشت بنـا الى مكان يقع خلف تمثال الموت الأكبر مباشرة .. وتوقفت وقالت بهدوء :

ـ هاهى الغرفة .. اشعلوا المصباح وادخلوا ..

ووضعت المصباح الذى كانت تحمله على الأرض. وأشعلت عودا من لثقاب وأضأت المصـباح وحملته لكى أبحث عن مدخل الغرفة .. ولكننا لم نجد بابا ولا مدخلا .. ولم نر سوى حائط صخرى أملس ..

وضحكت وهى تشير الى الحائط :

ـ ستدخلون من هنا أيها السادة .. انظروا..!!

وفجأة .. رأينا صخرة ضخمة من صخور هذا الحائط ترتفع وحدها الى أعلى ! .. وظلت ترتفع ببطء

عجيب حتي اختفت تماما داخـل الصخرة الضخمة التي كانت فوقها ٠٠ ورأينا مكان الصـخرة المختفية ثقبا كبيرا وراءه ظلام حالك ٠٠ !!

هاهو اذن المدخل الى كنوز سليمان ٠٠

وقفنا أمامه مشدوهين ومنفعلين غاية الانفعال ٠٠ لدرجة أني أحسست وكأن أطرافي ترتعش بشدة ٠٠ ماذا ياترى سنجد بداخل الغرفة ٠٠ ربما تكون الغرفة خالية وتنتهي كل تلك المغامرات والجهود التي عانيناها الى لا شيء ٠٠ وربما يكون جوزيه دى سيلفستر على حق في كل ما قاله في وثيقته المكتوبة بدمه ٠٠ اذا كان الأمر كذلك فسوف نحصـــل على ثروات طائلة تجعلنـــا أغنى أغنياء هذا العالم ٠٠ دقيقة واحدة أو دقيقتان وسيتضح كل شيء !

وسمعنا صوت جاجول وهي تقول :

ـ والآن ٠٠ ادخلوا أيها الرجال البيض الذين جاءوا من النجوم ٠٠ ادخلوا من هذه الفتحة ٠٠ ولكن

عليكم أولا أن تسمعوا كلمات جاجول العجوز : ان هذه الأحجار اللامعة البراقة قد استخرجت من ذلك الثقب العميق الذى رأيناه من قبل ٠٠ ذلك الثقب الذى يحرسه « الصامتون » ٠٠ ولكن من هم الذين أحضروا تلك الأحجار البراقة وحفظوها فى هذه الغرفة ٠٠ لا ادرى ٠٠ ولا أحد يعلم عنهم شيئا ٠٠ ومنذ أن قام هؤلاء باغلاق هذه الغرفة ورحلوا ٠٠ لم تفتح هذه الغرفة سوى مرة واحدة فقط ٠٠ حين جاء أحد الرجال البيض من وراء الجبال منذ سنين طويلة ، وحل ضيفا على ملك كوكوانا الذى كان يحكم البلاد في ذلك الزمن ٠٠ (وأشارت الى أحد الملوك الموتى ، وهو بالتحديد خامس ملك كان يجلس على الجانب الأيمن للمائدة) ٠٠ وكانت هناك امرأة عرفت بالصدفة سر هذا الباب الخفى ٠٠ ولولا معرفة هذا السر لما أمكن الدخول الى غرفة الكنوز حتى ولو قضيتم ألف سنة فى البحث عن مدخل لها ٠٠ وقد دخل ذلك الرجل الأبيض وتلك المرأة الى غرفة الكنوز ٠٠ ووجد الرجل أحجارا لامعة

براقة ·· وملأ الرجل حقيبة مصنوعة من جلد الماعز بتلك الأحجار ·· وعندما هم بالخروج ، التقط بيده قطعة كبيرة من تلك الأحجار اللامعة ·· و ·· ··

سكتت جاجول ولم تكمل قصتها ·· **فقلت لها وأنا أتطلع الى معرفة المزيد :**

ـ هاه ؟ ·· ماذا حدث بعد ذلك لجوزيه دى سيلفستر ·· ؟!

اندهشت جاجول عند سماعها هذا الاسم ·· **فسألتنى :**

ـ كيف عرفت اسم الرجل الأبيض الميت ·· ؟

ولكنها لم تنتظر جوابا ، **واستمرت فى رواية القصة :**

ـ لسبب ما أصيب الرجل الأبيض بالرعب ·· فألقى بالحقيبة المصنوعة من جلد الماعز والمملوءة بالأحجار اللامعة على الأرض ·· واحتفظ بقطعة الحجر

الوحيدة التى كان يمسكها فى يده ٠٠ وفر هاربا ٠٠ وعندما خرج أخذها منه الملك ٠٠ ومنذ ذلك الحين ، كان يأخذها كل ملوك كوكوانا واحدا بعد الآخر ٠٠ انها نفس قطعة الحجر اللامع التى كانت تزين جبهة توالا ٠٠ والتى تزين الآن جبهة اجنوسى ٠٠ !

قلت وأنا أحاول النظر الى داخل تلك الغرفة المظلمة :

ـ ولكن ٠٠ هل دخل أحد بعد الرجل الأبيض الى تلك الغرفة فيما بعد ؟

ـ أبدا ٠٠ لم يدخلها أحد ٠٠ لقد فتحها أحد الملوك فيما بعد ولكنه لم يجرؤ على الدخول ٠٠ وهناك قول عندنا بأن من يجرؤ على الدخول الى هذه الغرفة ، فانه سيموت خلال شهر قمرى واحد ٠٠ تماما مثلما مات الرجل الأبيض الذى رأيتم جثته فى الكهف بأعلى الجبل ٠٠ ان كلماتى صادقة ٠٠ ولم أقل لكم الا الصدق ٠٠ وهذا ما سوف تتأكدون منه بأنفسكم ٠٠ ها ٠٠ ها ٠٠ ها !

وهنا صاح الكابتن جود :

ـ اللعنة عليك وعلى كل كلماتك ٠٠ انى لن اخاف من كماتك هذه أيتها المرأة الشيطان ٠٠ !

واندفع الكابتن الى داخل الغرفة ، ودخلت وراءه فولاتا وهى ترتجف من شدة الخوف ٠٠ ثم دخلت جاجول، وتبعناها أنا والسير هنرى ٠

وبعد خطوات قليلة توقفت جاجول ورفعت المصباح الذى كانت تحمله الى أعلى وقالت :

ـ انظروا ٠٠ ان هؤلاء الذين خبأوا تلك الكنوز فى الماضى بداخل تلك الغرفة ، كانوا يريدون أن يكفلوا لها مزيدا من الحماية ٠٠ كانوا يريدون أن يسدوها تماما ٠٠ فشرعوا فى بناء هذا الحائط الذى لم يكتمل ٠٠ لقد أسرعوا بالهرب خوفا من شىء ما ٠٠

ونظرنا الى حيث أشارت ، ورأينا بالفعل حائطا واطئا لايزيد ارتفاعه عن قدمين ٠٠ وكان يبدو أن بناءه قد توقف فجأة ٠٠

وكانت فولاتا فى تلك الاثناء ترتعد ٠٠ وكل جزء من جسمها كان يرتعش ويرتجف من شدة ما كانت تعانيه من خوف وهلع ٠٠ كانت حالتها مؤسية تثير الشفقة ٠٠ وطلبت منا ان نتركها لتستريح على هذا الحائط الذى لم يكتمل بنـــاؤه ، وأن نكمـل نحن تقدمنا ٠٠ وبالفعـل أجلسناها فوق ذلك الحائط . ووضعنا بجوارها سلة الطعام التى كانت تحملها ٠٠ وتركناها لتستريح وتهدأ ٠٠

وعلى بعد نحو خمس عشرة ياردة ، رأينـــا بابا مدهونا بالبوية بطريقة ملفتة للنظر ٠٠ وكان الباب مفتوحا ٠٠ ويبدو أن آخر انسان كان هنا ، لم يجد وقتا كافيا ليغلقه ، أو ربما نسى أن يغلقه قبل أن يرحـــل ٠

وخلف هذا الباب مباشرة كانت هنـــاك حقيبة مصنوعة من جلد الماعز ملقاة على الأرض ، وتبـدو مملوءة عن آخرها باحجار الماس ٠ وعندما سقط نور

المصباح الذى كانت تحمله جاجول فى يدها على تلك الحقيبة ، أطلقت ضحكاتها الشريرة الكريهة ، **وقالت :**

ـ هيه ٠٠ هيه ٠٠ ألم أقل لكم ٠٠ ان الرجل الأبيض الذى جاء الى هنا وملأ هذه الحقيبة بالأحجار اللامعة ، قد ترك الحقيبة فجأة وأسرع بالهرب ٠٠ أنظروا ٠٠ هاهى الحقيبة ملقاة على الأرض بعد أن تركها وهرب ٠٠

ورفع الكابتن جود الحقيبة من على الأرض وفحص محتوياتها . **وقال هامسا :**

ـ يا للسماء ٠٠ انها مملوءة بأحجار الماس ٠٠!

وقال السير هنرى :

ـ فلنستمر فى السير ٠٠ اعطنى يا جاجول هذا المصباح !

وأخذ المصباح من يدها ٠٠ وطلب منا أن نتقدم داخل الممر ٠٠ وما هى الا لحظات قليلة حتى وصلنا الى غرفة كنوز سليمان ٠٠

كانت غرفة صغيرة محفورة فى الصخر ، وعلى أحد جوانبهـــا ، وجدنا نحو اثنى عشر صـــندوقا خشبيا ، مدهونين كلهـــم باللون الأحمر • **فصحت قائلا :**

ـ هاهى صناديق الماس •• أحضر المصـــباح ياسير هنرى !

وقرب السير هنرى نور المصباح من الصناديق •• كانت الأخشاب قد تآكلت وأصبحت هشة بفعل الزمن •• ومددت يدى فى صندوق منها ، وأخرجتها مملوءة •• ليس بقطع من الماس كما كنا نتصور •• بل بقطع من العملات الذهبية التى نقشت عليها حروف غريبة •• وكانت هنـــاك نحو ألفى قطعـة فى كل صندوق •• **وقلت :**

ـ من المحتمل أن تكون هذه العملات الذهبية قد جهزت لدفع أجـــور العمـــال أو بعض النفقـات الأخرى ••

وقال الكابتن جود :

ـ يبـدو أن كل الماس الذى كان موجودا هنا ، قد وضعه ذى سيلفستر فى الحقيبة الجلدية ٠

وقالت جاجول :

ـ لو نظرتم الى ذلك الركن الأكثر ظلاما ٠٠ ستجدون ثلاث خزائن حجرية فيها الأحجار اللامعة التى تبحثون عنها ٠٠ اثنتـان منها مغلقتان ، والثالثة مفتوحة !

وقلت للسير هنرى على الفور :

ـ انظر الى ذلك الركن ياسير هنرى ٠٠

فصاح مشدوها :

ـ يا الهى ٠٠ انظروا !!

واسرعنا جميعا الى حيث أشار ٠٠ فوجدنا بجوار الحائط ثلاث خزائن مصنوعة من الحجر ٠٠ ووجه

السير هنرى نور المصباح الى الخزينة المفتوحة وصاح مرة أخرى :

ـ انظروا ٠٠ !!

فى البداية لم نستطع أن نرى شيئا ٠٠ فقد كاد بريق الماس أن يخطف أبصارنا ٠٠ وعندما تعودت عيوننا على الرؤية فى هذا البريق الذى يتلألأ فى ضوء المصباح الخافت ، لاحظنا أن الخزينة كانت مقسمة الى ثلاثة أقسام مملوءة كلها بأحجار من الماس الخام ٠٠ ومعظم هذه الأحجار كانت كبيرة الحجم ٠

فصحت مهللا :

ـ أخيرا ٠٠ سنصبح أغنى أغنياء هذا العالم !!

وصاحت جاجول التى كانت تقف خلفنا :

ـ هيه ٠٠ هيه ٠٠ هاهى الأحجار اللامعة البراقة التى تحبونهـــا ٠٠ ارفعوها بين أصابعكم لتتمتعوا بمرآها ٠٠ كلوها ٠٠ هيــه هيــه ٠٠ اشربوها ٠٠ ها ٠٠ ها !!

وقفنا صامتين نحملق فى بعضنا .. وبريق الماس يتلألأ حولنا كلما سقط عليه نور المصباح .. كانت أمامنا ملايين الجنيهات ملقاة على الأرض .. وهى قيمة هذا الماس الثمين .. وكانت هناك أيضا مئات الآلاف من الجنيهات .. وهى قيمة العملات الذهبية المعبأة فى الصناديق .. وليس أمامنا الآن الا أن نحملها ونرحل ..

وجلسنا على الأرض لنحاول فتح الخزينتين الأخريين .. كانت الخزينة الأولى مملوءة عن آخرها بقطع الماس .. أما الخزينة الثانية فلم يكن فيها من الماس الا ربع حجمها تقريبا .. ولكن جميع القطع التى كانت موجودة بتلك الخزينة ، كانت قطعا كبيرة متميزة ، يصل حجم بعضها الى حجم البيضة .

أما الشىء الذى لم نره ولم نتنبه اليه ، فهو النظرات المخيفة المملوءة بالحقد ، التى وجهتها الينا الساحرة العجوز جاجول ، وهى تتسلل زاحفة فى

صمت ، وخرجت من الغرفة ، واتجهت صوب الباب الصخرى الكبير الذى دخلنا منه ..

★ ★ ★

وفجأة .. سمعنا فولاتا تصرخ باعلى صوتها :

ـ النجـدة النجدة .. احذروا .. احذروا .. أن الباب الحجرى سيغلق !!

وسمعنا صوت جاجول تهدد :

ـ دعينى أخرج يا فتاة .. والا ..

وصرخت فولاتا مرة اخرى :

ـ الحقونى .. الحقونى .. لقد قتلتنى !

طبعا تركنا كل شيء وجرينا صوب الصراخ .. وعلى ضوء المصباح الخافت رأينا ما يلى : البـــاب الحجرى يهبط ببطء ليسد فتحة الجدار التى دخلنا منها .. ولم يعد باقيا من الفتحة سوى مسافة صغيرة

لاتتجاوز ثلاثة أقدام ارتفاعا عن الأرض ‥ وبالقرب من الفتحـة كانت فولاتا وجاجـول تتصارعان صراعا وحشيا ‥ وكانت الدماء تسيل بغزارة من المسكينة فولاتا وتغطى معظم جسمها ‥ ومع ذلك فقد استمرت تلك الفتاة الشجاعة فى الامساك بجاجول لمنعها من الهرب ‥ وكانت جاجول تصارع كالقطة المتوحشـة وتحاول الافلات ‥ بل لقد أفلتت فعلا ‥ وانطلقت زاحفة نحو الجزء المتبقى من الفتحة الذى أصبح صغيرا للغاية بعد هبوط الصخرة التى تسد الفتحة ‥ ومع ذلك فقد واصلت زحفهـا ، ولكن الصخرة أطبقت عليها ، وبالرغم من صراخها اليائس من شدة الألم ، سمعنا طقطقة عظامها وهى تسحق تحت الصخرة .

حدث كل هذا فى لحظات قصيرة ‥

واستدرنا الى فولاتا ، فوجدنا سكينا كبيرة كانت مغروسة فى صدرها ، وكانت الدماء تتدفق من جرحها بشكل أحسست معه بأن الفتاة لن تعيش الا لحظات معدودة . **وقالت الفتاة وهى تحتضر :**

ـ انى أموت ‥ لقد رأيت جاجول وهى تزحف خارجة من عندكم ‥ ثم رأيتها وهى تجعل الصخرة تنزل ببطء ‥ امسكتها ‥ ولكنها طعنتنى بسكين ‥ لقد قتلتنى ‥ وهأنذا أموت الآن ‥

وامسك الكابتن جود بذراعيها وحاول أن يضمها إلى صدره ، **وقال وهو يكاد يبكى حزنا والما :**

ـ مسكينة يا فتاتى ‥ مسكينة !

التفتت فولاتا حولها **وقالت له بصوت ضعيف واهن :**

ـ هل صديقك الذى يعرف لغتى موجود هنا ‥ أين هو ‥ ان الدنيا بدأت تظلم فى عينى ‥ لم أعد ارى شيئا ‥ !

فقلت لها :

ـ أنا هنا يا فولاتا ‥ ماذا تريدين ؟

ـ أريد أن تكون لسانى للحظة واحدة ٠٠ انه لايفهم لغتى وأنت تفهمها ٠٠ وقبل أن أذهب للظلام أريد أن أقول كلمة ٠٠

ـ قوليها يافولاتا ٠٠ قولى ماتريدين فورا ٠٠

ـ قل له يا سيدى انى ٠٠ انى أحبه ! ٠٠ قل له انى مسرورة وسعيدة بموتى ، لأنى أعرف أن الحياة لايمكن أن تجمعنى معه فى هذا العالم ٠٠ قل له انى منذ رأيته لأول مرة وأنا أحس كأن قلبى طير يرفرف بجناحيه فى صدرى ٠٠ ويغنى أغنيات كلها عذوبة وحلاوة ٠٠ وحتى الآن ، وبالرغم من انى لا أستطيع أن أحرك يدى ، فانى أشعر أن قلبى لن يموت ٠٠ لأنه قلب مملوء بالحب ، ويستطيع أن يعيش ألف سنة ويظل شابا ٠٠ قل له انى اذا عدت الى الحياة بعد موتى ٠٠ فسوف ألقاه فى نجوم السماء العالية ٠٠ وسوف أفتش عنه فى كل تلك النجوم نجما نجما ٠٠ قل له ياسيدى ٠٠ ولكن ٠٠ لا ٠٠ لاتقل له شـيئا آخر ٠٠ قل له فقط انى أحبه ٠٠ !!

كانت تلك آخر كلمة استطاعت أن تنطقها قبل أن يميل رأسها على صدر الكابتن وترحل .. **وصاح الكابتن بحزن شديد والدموع تترقرق فى عينيه :**

ـ لقد ماتت .. لقد ماتت !

وعلق السير هنرى على هذا الحزن بقوله :

ـ أن الأمر لا يحتاج لكل هذا الحزن الآن يا صديقى !

وقال الكابتن مندهشا :

ـ ماذا تقصد ياسير هنرى ؟

ـ اقصد انك بعد قليل ستلحق بها .. ألا ترى أن الباب الحجرى قد أغلق علينا .. واننا الآن نعيش فى قبرنا .. ؟!

تنبهنا الآن الى المصير المؤلم الذى ينتظرنا .. هذا الموت البطىء الذى بدأ يزحف نحو أرواحنا ..

لقد اتضحت الأمور الآن ·· فالساحرة العجوز الشريرة جاجول قد وضعت لنا هذه الخطة منذ البداية ·· خطة دبرتهـا بعقلهـــا الشرير الآثم ·· ان يموت الرجال البيض الثلاثة موتا بطيئـــا ·· من الجوع والعطش ·· جوار الكنوز التى أحبوها ويرغبون فى امتلاكها ·· وعرفنا الآن ماذا كانت تقصده عندما أشارت الى أحجـار الماس وقالت لنـــا « كلوها » و « اشربوها » ··

وأدركنا الآن أن أحدا قد حاول أن يفعل بجوزيه دى سيلفستر نفس الشىء ·· ولكن سيلفستر استطاع أن يفلت قبل أن يغلق عليه الباب الحجرى ·· لهذا فقد ألقى بالحقيبة الجلدية المملوءة بالماس وأسرع هاربا قبل أن ينغلق الباب تماما ·· **وقال السير هنرى فى النهاية :**

ـ لابد أن نفعل شيئا ·· فزيت المصباح قد أوشك أن ينتهى ·· دعونا نبحث فى هذا الضـوء

المتبقى عن « الأداة » التى تستعمل فى فتح البـــاب الحجرى واغلاقه ··

وفى لحظات بدأنا نتحسس جميع أجزاء الباب الحجرى والجدار الحجرى الملاصق له ·· ولكننا لم نعثر على شىء · **وقلت** :

ـ من المؤكد أن « الأداة » التى تفتح هذا الباب الحجرى لاتعمل من الداخل ·· وانما تعمل من الخارج ·· والا لما جازفت الساحرة العجوز بمحاولة الزحف تحت الجزء الذى كانت متبقيا من الفتحة حين كان الباب ينغلق ··

وقال السير هنرى :

ـ اننا لن نستطيع أن نفعل شيئا لفتح هذا الباب ·· دعونا نعود الى غرفة الكنوز ··

وحملنا جثـة المسكينـة فولاتا وأرقدناهـا جوار صناديق العملات الذهبية ·· وعندما كنا نمر فوق

الجدار الواطىء الذى لم يتم بناؤه ، رأيت سلة الطعام التى كانت قد أعدتها لنا ، فأخذتها معى ٠٠ وأخيرا ، جلسنا على الأرض ونحن نسند ظهورنا الى الخزائن الحجرية المملوءة بأحجار الماس ٠ **وقال السير هنرى :**

ـ علينا أن نقسم هذا الطعام الى كميات صغيرة ٠٠ اذ علينا أن نعتمد عليه لأطول فترة ممكنة ٠

وعندما فعلنا ذلك ، وجدنا ان هذا الطعام لن يكفينا الا لمدة يومين اثنين اذا اقتصدنا في استهلاكه الى أقصى حد مستطاع ٠ وتناولنا أول وجبة ٠٠ قطعة صغيرة من اللحم المجفف وبعض قطرات من الماء ٠٠ ثم قمنا بعد ذلك بفحص كل جزء من أجزاء هذا القبر الذى دفنا فيه أحياء ٠٠ لعلنا نجد مخرجا ٠٠ ولكن آمالنا تبددت وجهودنا ضاعت هباء ٠٠ **وقال السير هنرى :**

ـ كم الساعة الآن ياكوترمين ٠٠ ؟

ـ الساعة الآن هى السادسة مساء ·· وقد دخلنا الكهف حوالى الساعة الحادية عشر قبل الظهر ·· وأعتقد أن انفادوس سيدرك اننا قد وقعنا فى خطر عندما يحل الليل دون أن نخرج ·· ولذلك فانى أعتقد أنه سوف يبدأ البحث عنا فى صباح اليوم التالى ··

فقال السيرهنرى معقبا :

ـ ان انفادوس لايعرف سر الباب الحجرى ·· وحتى لو وصل الى هذا الباب ، فلن يعرف أين توجد « الأداة » التى تفتحه ·· وان جيش كوكوانا كله لن يستطيع أن يحطم هذا الباب الضخم الذى يبلغ سمكه نحو خمسة أقدام ·· ليس أمامنا يا أصدقائى سوى أن نستسلم لمشيئة الله ·· ان نهاية جميع من حاولوا البحث عن تلك الكنوز كانت نهاية مؤلمة ، سيئة ومحزنة ·· ونهايتنا لن تختلف ··

وأخذ ضوء المصباح يخفت رويدا بعد أن أوشك زيته على النفاد ·· وتوهجت آخر شعلة قبل أن

تذوى .. وعلى ضوئها رأينا آخر مشهد : صناديق الذهب وأمامها جثة الفتاة الجميلة فولاتا .. والحقيبة الجلدية المملوءة بقطع الماس .. وبريق الماس الآخر الذى كان موضوعا فى الخزائن الحجرية .. ووجوهنا نحن الثلاثة الجالسين فى انتظار الموت كمصير محتوم..

ثم انطفأت شعلة المصباح .. وحل ظلام دامس .. !

الفصل السادس عشر

فقدنا الأمل

لا أستطيع أن أعطى للقارىء وصفا دقيقا لليلة التى قضيناها فى هذا المكان ٠٠ لقد عز علينا النوم ولم يغمض لنا جفن بسبب الصمت المطبق الذى كان يلفنا ويلف كل شىء حولنـــا ٠٠ ولا شـك فى أن القارىء قد مر بتجربة الأرق وعدم القدرة على النوم أثناء الليل ولو مرة واحدة ٠٠ ولاشك فى أنه أحس عندئذ بصمت الليل وهو يطبق عليه فى بيته ٠٠

ولكنني على يقين بأن أحدا لايعرف مدى كآبة الصمت الصافي التام الذى عانيناه ..

كنا مسجونين فى قلب جبل عال تغطى قمته الثلوج .. وفوقنـــا بآلاف الاقدام ، تهب الريـاح القوية على صفحة الثلج الأبيض . ولكن صوتهـــا لايصل الينا .. ويفصل بيننا وبين قاعة الموتى جدار حجرى يزيد سمكه عن خمســـة أقدام .. والموتى لايتكلمون ولا يحدثون صوتا .. وحتى لو أطلقت جميع مدافع العالم أو دوى صـــوت الرعد فى جميع انحاء الدنيا فلن نسمع من ذلك كله أى صوت أو صدى .. لقد دفنا أحياء فى أعمق قبور الدنيا !

وكانت معنا فى هذا القبر كنـــوز تغنى أمة بأكملها .. وكنا مستعدين لاعطاء هذه الكنوز كلها لأى شخص يعطينا ولو مجرد أمل ضعيف فى النجاة والخلاص .. بل وكنا مستعدين للتنازل عنهـــا فى سبيل قليل من الطعام وكوب من الماء .. بل وحتى

فى سبيل أن يأتينا الموت بسرعة بدلا من هذا الموت البطىء الذى بدأنا نحس خطاه لحظة بعد أخرى .. !

هكذا أمضينا الليل . ووسط هذا السكون المرعب ، جاء صوت السير هنرى وكأنه يحطم هذا السكون تحطيما .

وقال :

ـ كابتن جود .. كم عدد أعواد الثقاب التى بقيت معك ؟

ـ ثمانيــة ..

ـ أشعل واحدا لنعرف الوقت ..

وبسبب الظلام الدامس الذى عشنا فيه كل هذا الوقت الطويل ، فقد كادت شـعلة عود الثقاب أن تخطف أبصارنا من شدة ضوئها .. وعرفنا أن الساعة هى الخامسة صباحا .. ومعنى ذلك أن نور الفجر الوردى قد بدأ يجلل قمم الجبال ويمرح فوق السهول والوديان .. دون أن يتسلل الينا منه شعاع واحد ..

وقلت لابدد اثر الكآبة التى كنا غارقين فيها :

ـ لعل من الأفضـــل أن نتنــــاول بعض الطعام نجدد به قوانا ..

فقال الكابتن جود :

ـ وما فائدة الطعام .. وما فائدة تجديد قوانا .. ان الموت قادم لامحالة .. ؟!

ولكن السير هنرى قال :

ـ لا .. مادامت هناك حياة .. فلابد أن يكون هناك أمل .. ونحن مازلنا أحياء حتى الآن .. !

وعلى هذا ، أكلنا بعض الطعام وشربنا قليلا من الماء .. وعاد الوقت يمر بطيئا ..

وبعد فترة طويلة طرأت فى أذهاننــا فكرة .. فوقفنا جوار الباب الحجرى المغلق ، وأخذنا نصيح بأعلى أصواتنا لعل أحد يسمعنا فيعرف مكاننا .. ولأن الكابتن جود كان معتادا على الصياح فى البحر ، فقد

أحدث ضجة عالية وصيحات مدوية لم أسمع مثلها من قبل .. ومع ذلك فلم يسمعنا أحد .. ولا استجاب لصياحنا أحد ..

وأوقفنا الصياح بعد أن جفت حلوقنا وأحسسنا بشدة العطش .. وتوقفنا عن الصياح مرة أخرى حتى لانستهلك الماء القليل الذى لدينا ..

وجلسنا على الأرض ، وأسندنا ظهورنا الى الخزائن الحجرية المملوءة بكنوز لا فائدة فيها .. ولم يعد أمامنا من سبيل سوى الاستسلام لليأس والقدر المحتوم .. وأسندت رأسى إلى كتف السير هنرى . وأغرورقت عيناى بالدموع وانفجرت باكيا .. وسمعت الكابتن جود وهو يبكى أيضا .. ويلعن نفسه فى ذات الوقت لأنه تخاذل وبكى ..

أما السير هنرى .. فكم هو شجاع وعظيم .. لقد نسى متاعبه ويأسه ومصيره المماثل لمصيرنا .. وأخذ يواسينا كما لو كان مربية تداعب أطفالا ترعاهم

.. فحكى لنا قصصا كثيرة عن رجـال تعرضوا لمآزق صعبة ميئوس منها ومع ذلك فقد خرجوا منها سالمين فى النهاية ..

وعنــــدما وجد أن هذه القصص لم تنجح فى التسرية عنا بدرجة كافية ، أخذ يشجعنا على مواجهة الموت بجسارة ، وقال ان الموت سيأتى بشكل سريع ومفاجىء .. وعلينـــــا فقط أن نطلب مـن الله أن يساعدنا ..

وهكذا مر النهار كما مر الليل السابق ، ان جاز لنا أن نستعمل كلمتى الليل والنهار برغم هذا الظلام الدامس الذى لايفرق بينهما . وعندما أشعلنا عودا آخر من الثقاب تبين لنا ان الساعة قد بلغت السابعة مساء .. وتناول كل منا نصيبه القليل من الطعام وبعض قطرات الماء ..

وفجـــأة .. سنحت فى ذهنى فكرة طـــارئة فقلت فرحا :

ـ الا تلاحظون انه بالرغم من مرور كل هذا الوقت ، فان الهواء لم يفسد ولم نختنق ٠٠ معنى ذلك ان الهواء يتجدد ٠٠ ولابد أن هناك منفسا يدخل منه الهواء ويخرج ٠٠ !

وصاح الكابتن جود مؤيدا :

ـ يا للسماء ٠٠ هذه فكرة عظيمة ٠٠ كيف لم نتنبه اليها ؟ ٠٠ ولكنى أعتقد أن هذا المنفس لايمكن ان يكون موجودا فى الباب الحجرى ، فهو حجر صلد أملس وملتصق تماما بأحجار الجدار ٠٠ ولهذا فلابد ان يكون المنفس موجودا فى مكان آخر علينا أن نبحث عنه بكل دقة ٠

وبعث فينا هذا الأمل الجديد روحا وثابة ، فبدأنا نعمل بهمة ٠٠ وأخذنا نزحف على أيدينا وركبنا ، ونتحسس كل جزء فى المكان ٠٠ ونشم كل ركن ٠٠ لعلنا نعثر على ثقب صغير يتخلله تيار الهواء مهما كان ضعيفا ٠٠ وظللنا أكثر من ساعة نبحث

ونبحث .. دون جـدوى .. فارتميت على الأرض يائسا .. كما توقف السـير هنرى عن البحث .. أما الكابتن جود فقد واصل مهمته بهمة .. وقال لنا بصوت مبتهج على نحو ما .. ان ذلك أفضل بكثير من البقاء بلا عمل ..!

ولم يمض وقت طويل حتى صـاح الكابتن منفعلا :

ـ من هنا يا رفاقى .. من هنا يأتى الهواء !!

وطبعا اندفعنـا نحو الكابتن بأقصى سرعة **وقال الكابتن وهو يمسك بيدى :**

ـ تعـال يا كوترمين .. ضع يدك هنا مكان يدى ، وقل لنا بماذا تشعر ..

ـ أشعر بتيار ضعيف من الهواء !

وهب الكابتن واقفـا وأخذ يدق الأرض بكعب حذائه **وقال :**

ـ أنصـــتا ٠٠ لابد أن هناك فراغا تحت هذا المكان ٠٠ !!

وعاد الينا الأمل من جديد ٠٠

وبيد مرتعشة أشعلت عودا من الثقاب ، ولم يعد باقيا لدينا سوى ثلاثة أعواد فقط ٠٠ وفى ضـــوء الثقاب الخافت ، رأينا شرخا فى الأرضية الصخرية ٠٠ ورأينا ٠٠ يا للسماء ! ٠٠ حلقة صخرية تكاد أن تكون ملتصقة بالأرضية ٠٠ !!

كانت مفاجأة مذهلة فلزمنا الصمت ولم نتبادل كلمـــة ٠٠ وأخـرج الكابتن جـود مطواة كبيرة كان يحملها ، وفتحها ، وبدأ ينقب حول الحلقـــة ٠٠ ومضت مدة طويلة وهو يعمل بهمة الى أن نظف ما حول الحلقة تماما ٠٠ ومد يده داخل الحلقة وأخذ يجذبها بقوة الى أعلى ٠٠ وبدأت الحلقة تتحرك ببطء الى أن استقامت ٠٠ وعندئذ حاول أن يشد الحلقة الى أعلى بقوة أكبر ، ولكن الصخرة التى ربطت بها الحلقة لم تتحرك قيد أنملة ٠٠ **فقلت له :**

ـ أتركها لى ٠٠ دعنى أحاول ٠٠

وأخذت أجذب الحلقة الى أعلى بأقصى ما أستطيع من قوة ٠٠ ولكن الصخرة لم تتحرك اطلاقا ٠٠ ومن بعدى حاول السير هنرى أن يجرب ، ولم تتحرك الصخرة ٠

واستخدم الكابتن المطواة مرة أخرى فى تنظيف الشق المحيط بالصخرة التى ربطت بها الحلقة ٠٠ ثم خلع منديل حريريا كبيرا كان يرتديه ولفه مثل الحبل وقال لنا :

ـ كوتر مين ٠٠ سأمسك أنا وأنت بطرف المنديل ويمسك السير هنرى بالطرف الآخر ٠٠ وعلينا جميعا أن نجذب الحلقة دفعة واحدة عندما أقول كلمة : « شد !! » ٠٠ هيا الآن ٠٠ « شد !! » ٠

وجذبنا الحلقة بكل قوتنا ٠٠ وسمعنا صوت قرقعة الصخرة وهى تتحرك ٠٠ ثم وهى تنفصل ٠٠ ثم ونحن نقع على الأرض من قوة الشدة ٠٠ واندفع تيار من الهواء من مكان الصخرة المخلوعة !

وقال السير هنرى :

ـ كوترمين .. أشعل عودا من الثقاب وكن حريصا حتى لايطفئه تيار الهواء ..

وما ان أشعلت العود حتى رأينا مفاجأة جديدة ... رأينا أول درجة من درجات سلم يؤدى الى أسفل ..

وتساءل الكابتن :

ـ هاه .. ماذا سنصنع ؟

واجاب السير هنرى :

ـ علينا طبعا أن نتبع درجات السلم ، ونثق فى حسن حظنا .. ولكن قبل أن نبدأ .. اذهب ياكوترمين واحضر لنا البقية من الماء والطعام ، فربما نحتاجها ..

وزحفت بحرص الى مكاننـــا بجـوار الخزائن الحجرية ، وأخذت السلة ٠٠ وطرأت فى ذهنى فكرة : ماذا لو آخذ بعض الماس معى ؟ ٠٠ ونفذت الفكرة على الفـور ٠٠ وملأت كل جيوبى بقطع مـن الماس مـن الصندوق الأول ٠٠ وأخذت أيضا بعض القطع ذات الحجم الكبير من الصندوق الثالث ٠٠

وعندما عدت الى رفيقى قلت لهما :

ـ لماذا لا تأخذان معكما بعضـــا من الماس ٠٠ أنا شخصيا ملأت جيوبى ٠٠ ؟!

فقال السير هنرى :

ـ اللعنة على كل الماس فى الدنيا ٠٠ !

أما الكابتن جود فيبدو أنه كان منهمكا فى كيفية مناسبة للوداع الأخير لتلك الفتاة المسكينة التى أحبته بكل صدق ٠٠

ونادانا السير هنرى وهو يقف على أولى درجات السـلم :

ـ هيا بنا .. وسأكون فى المقدمة

وقلت محذرا :

ـ انتبه لموضع قدمك فى كل خطوة . فربما يكون هناك بئر نسقط فيه ..

وقال السير هنرى :

ـ أغلب الظن أن السلم سـيؤدى الى غـرفة أخـرى ..

وهبطنا درجات السلم ببطء وحذر .. وكنا نعد الدرجات درجة درجة ..وعند الدرجة الخامسة عشرة ، توقف السير هنرى وقال :

ـ هذه آخر درجة .. ويبدو أن هذا السـلم يؤدى الى ممر .. هيا اهبطا واتبعانى ..

وأشعلنا عودا من الثقاب من العودين المتبقيين معنا . وفي ضوئه رأينا أمامنا ممرين ضيقين ، أحدهما على اليمين ، والثاني على اليسار . وواجهتنا مشكلة اختيار الممر الذي يجب أن نسلكه .. ولكن الكابتن جود تذكر أن لهب عود الثقاب الذي أشعلناه قد اتجه الى اليسار .. ومعنى ذلك أن تيار الهواء كان يهب من ناحية اليمين .. وبما أن تيار الهواء الذي يتخلل بطن الجبل هو تيار « داخل » وليس تيارا « خارجا » .. لذلك فيجب علينا أن نتتبع مصدر هذا التيار من الهواء ، وندخل بالتالي الى الممر الأيمن .

ودخلناه .. وكنا نتحسس الجدران بأيدينا .. ونتحسس مواضع أقدامنا قبل أن نخطو . وهكذا غادرنا ذلك المكان اللعين ببابه الحجري اللعين ، وبدأنا كفاحا جديدا ومخيفا في الوقت نفسه ، في سبيل الحياة .. واذا كان من المقدر أن يدخل أحد بعدنا الى غرفة الكنوز (وأعتقد أن هذا أمر غير محتمل) .. فسوف يجد آثارنا هناك : الخزائن الحجرية التي

فتحناها .. ومصباحا خاليا من الزيت .. وعظام الفتاة المسكينة فولاتا ..

سرنا حوالى ربع ساعة داخل هذا الممر المستقيم. ثم فجأة انحرف الممر بزاوية حادة ، أو بالأحرى دخلنا الى ممر جديد ، انحـــرف بدوره الى ممر ثالث .. وهكذا واصلنـــا السير الحذر فى العديد من تلك الممرات التى تشبه المتاهة لمدة تجاوزت عدة ساعات .

توقفنـــا بعد أن أحسسنا بالتعب الشديد من الجهود التى بذلناها وأرهقت أعصابنا ونحن نســير وسط الظلام الدامس بداخل تلك الممرات ببطن الجبل والتى أصبحت الآن تبدو بلا أول ولا آخر .. وعاد اليأس يملأ قلوبنا من جديد . فأكلنا آخر قطعة لحم كانت معنا ، وشربنا آخـــر قطرات الماء التى تبقت لديتـــا .

جلســـنا على الأرض صامتين لانتكلم .. وماذا نقول وكل منا يدرك تماما أننا هربنا من الموت فى ظلام غرفة الكنوز ، الى الموت فى ظلام الممرات .

ولكن بالرغم من هذا الصمت المطبق ، تطرق الى سمعي صوت غريب يأتي من بعيد ·· كان ضعيفا جدا ولم تألفه من قبل أذناي · وطلبت من رفيقي أن ينصتا الى ذلك الصوت الذى يبدو كالهمس من شدة ضعفه وبعده · وأصاخا السمع لحظات قليلة ، **واذا بالكابتن جود يهتف قائلا :**

ــ رباه ·· هذا صوت ماء يجرى ·· هيا بنا ··!

ومدفوعون بالأمل مرة أخرى ، نهضنا وعاودنا السير داخل الممرات في اتجاه الصوت ·· وكنا نتحسس بأيدينا وأرجلنا خشية حدوث مفاجأة لانتوقعها · وكان الكابتن جود يسير في المقدمة لقيادتنا ·· وكلما تقدمنا في السير كلما اتضح صوت جريان الماء أكثر وأكثر حتى أصبحنا قريبين تماما من الصوت المائي وان كنا لم نر الماء نفسه ·· **ونادى السير هنرى على الكابتن :**

ــ على مهلك ياجود ولاتسرع ·· يجب أن نكون قريبين من بعضنا ·

وفجأة سمعنا صرخة .. لقد سقط الكابتن فى الماء .. **فصرخنا بدورنا :**

ـ جود .. جود .. أين أنت .. ؟!

وجاءنا صوته ضعيفا :

ـ لقـــد سقطت فى الماء .. وأنا أمســك الآن بصخرة حتى لايجرفنى التيار .. اشعلوا عودا من الثقاب لاعرف أين أنتم .. !

واشعلنا آخر عود فى حوزتنا .. وأرينا أننا كنا نقف على حافة مجرى الميــاه المتدفقة .. ورأينا الكابتن جود ممسكا بصخرة وسط الماء ..

وصاح بنا :

ـ سوف اسبح تجاهكم ، فاســتعدوا لالتقاط يدى !

وفى أقل من دقيقة استطعنا أن نمســك بيد الكابتن جود ، وجذبناه .. **وقال لنا بثقة :**

ـ ربما يكون هذا النهر هو أقرب طريق الى النجاة ، ولكن التيار قوى وشديد ، ولا نعرف الى أين يذهب وسط هذا الظلام الدامس ·

لم نجسر حتى على السير متتبعين مسار التيار ، فقد خشينا أن نسقط فى الماء ·· ولذلك فقد اكتفينا بشرب الكثير من الماء حتى ارتوينا تماما ·· ثم عاودنا السير مرة أخرى فى الممرات المظلمة ·

تولى السـير هنرى القيـادة ، **ومشى فى المقدمة وقال لنا :**

ـ ان كل هذه الممرات متشـابهة.·· وليس أمامنا سـوى السير فيهـا حتى تنتهى هى أو ننتهى نحن !

وعندما أوشك أن ينهكنا طول التعب وشـدة الاجهاد ، توقف السيرهنرى فجـأة لدرجـة اننـا اصطدمنا به من الخلف ، **وصاح :**



اشعلوا عودا من الثقاب لأعرف أين انتم ..

ـ انظـرا ‥ هل جننت ‥ أم هذا نـــور حقيقى ‥ ؟!

ودققنا النظر ، فرأينا بقعة من الضوء الخافت ، وتبدو وكأنها فى مكان بعيد جدا ‥ ولكنهــا كانت كافيـــة لبعث الأمل ، فنسينا تعبنا وبدأنا نتلمس طريقنا تجـــاه الضوء ، بأسرع ما نستطيع ، ولكن الطريق بدأ يضيق ويضيق ، حتى اضطررنا للزحف على أيدينا وركبنا ‥

فى نهاية الطريق وجدنا صخرة كبيرة تسد المنفذ الذى يتسلل منه الضوء ، فجاهدنا حتى أزحناها ‥ وخرج السير هنرى ، وخرج من بعده الكابتن جود ‥ وخرجت أنا فى النهاية ‥

أخيرا ‥ ها هى ســـماء الليـل تملأها النجوم المتلألئة ، وموجات النسيم تتدفق بالهواء النقى ‥ ولكن فجأة ، حدث شىء غريب ، فقد ســـقطنا نحن الثلاثة واحـدا بعد الآخر ‥ وكانت الأرض منحـدرة

انحدارا شـديدا جعلنـا نتدحرج ونتدحرج الى أن أمسـكت بشيء أوقفنى ، وأمسـك الكابتن ببعض الشجيرات أوقفته عن التدحرج ، كما توقف السـير هنرى عندما وصل الى أرض مستوية .

وتجمعنا .. وجلسنا سويا على العشب الناعم، وأذكر أننا أخذنا نصيح بأعلى أصـواتنا من شـدة فرحنا بنجاتنا من تلك الغرفة التى كادت أن تصبح قبرنا .. ومن تلك الممرات المظلمـة فى بطن الجبل والتى كانت تبدو بلا نهاية .. وهاهو نور الفجر وقد أوشك أن يهل على صفحة الأفق .. بعد أن فقدنا كل أمل فى رؤية فجر جديد .

وعندما بدأ نور الصباح يغمر الدنيا ، رأينـا اننا فى مكان يقع بالقرب من أسفل مدخـل النجم العميق المجاور لمدخل الكهف .. ورأينـا ملامحنـا بوضوح لأول مرة منذ بداية تلك المغامرة .. كانت عيوننا غائرة ، ووجوهنا شاحبة ، وأجسامنا وملابسنا مغطاة بالتراب والقذارة والدماء ..

وبالرغم من احساسنا بشدة التعب وعدم القدرة على مواصلة السير ·· تحاملنا على أنفسنا وتساندنا على بعضنا ، وأخذ نجاهد في الصعود على جانب الجبل حتى وصلنا الى نهاية الطريق العظيم ·

وعلى بعد نحو مائة ياردة ، رأينا دخانا يتصاعد من نار موقدة أمام بعض الأكواخ ، كما رأينـا بعض الرجال الذين لم يتنبهوا الينا فى البداية ، فاتجهنا اليهم ·· الى أن رآنا أحدهم ، فارتمى على الأرض وأخذ يصيح من شدة الخوف · فناديناه :

ـ انفادوس ·· انفادوس ·· لاتخف ·· نحن أصدقاؤك ألا تعرفنا ·· ؟!

فنهض انفادوس وتقدم الينا وهو لايصدق عينيه ، وقال لنا بكل دهشة :

ـ آه ياسادتى ·· هل عدتم من الموت ·· ؟!

الفصل السابع عشر

النهاية

وبعد نحو عشرة أيام ، عدنا مرة ثانية الى الكوخ الذى كان مخصصا لنا فى مدينة « لور » .. وأنصت الملك اجنوسى بدهشـــة الى تفاصيل التجربة المخيفة التى خضناها . وعندما أخبرناه بمصرع الســاحرة العجوز جاجول تحت الباب الحجرى ، قال لنا وهو يشك فى الأمر :

ـ لا أعتقد انها ماتت ٠٠ فهى امرأة غريبة ٠٠

وقلت له أخيرا :

ـ والآن يا اجنوسى ٠٠ لقد حان الوقت لأن نقول لك وداعا ٠٠ لقد جئت معنا وانت تعمل كخادم لنا ٠٠ وها نحن نتركك وأنت ملك منتصر مظفر ٠٠ ونرجو أن تحكم بالعدل ٠٠ ونتمنى لك كل نجاح وتوفيق ٠٠ وغدا سوف نرحل عائدين ٠٠ فهل ستسمح بأن ترسل معنا بعض الأدلاء لارشادنا في عبور الجبال حتى نجتازها ٠٠ ؟!

غطى اجنوسى وجهه بيديه ، **ثم قال :**

ـ لقد أصبح قلبى مثقلا بالحزن ٠٠ ماذا فعلت لكم حتى تتركونى وترحلوا ٠٠ لقد وقفنا معا فى الشدائد ٠٠ فهل ترحلون فى وقت السلام والنصر ؟!

وضعت يدى على ذراعه **وقلت :**

ـ اجنوسى ٠٠ أتذكر أيام كنت تتجول فى بلاد الزولـو ، وتعيش حيـــاة قلقة بين البيض فى اقليم

« ناتال » ؟ .. ألم يكن قلبك يحن الى وطنك الحقيقى الذى وصفته لك أمك .. ألم تكن تشتاق الى العودة الى ذلك الوطن الذى رأيت فيـه النـور لأول مرة . والذى كان مرتعا وملعبا أثناء طفولتك .. ؟!

ـ نعم كنت أذكر ذلك الوطن دائما ..

ـ ونحن أيضا يا اجنوسى نذكر أوطاننا .. وقلوبنا تهفو دائما للعودة اليها ..

وحل الصمت لفترة .. **ثم قال** :

ـ سيصحبكم عمى انفادوس ليرشدكم الى طريق آخر لاجتياز الجبال سيريكم اياه .. وداعا يا اخوتى .. اذهبوا الآن قبل أن تتدفق من عينى الدموع وأبكى كالنساء .. وعندما تعودون الى أوطانكم .. وتمـر السنوات والسنوات .. فتذكروا أننا وقفنا معا كتفا الى كتف .. وخضنا معركة باسلة انتهت بالنصر .. وداعا يا أصدقائى .. وداعا الى الأبد !

ثم وقف اجنوسي ، وأخذ يحملق فينا لبرهة ، ثم ألقى بطـرف ردائه على وجهــه حتى لايرانا .. وانصرفنا فى صمت ..

وأثناء السفر ، أخبرنا انفادوس بأن هنـــاك طريقا جديدا عبر الجبال .. وهو طريق مختصر وأكثر راحة من الطريق الذى جئنا منه .. وبعد نهاية هذا الطريق سنجتاز الصحراء فى أيام قليلة ، ونصل الى منطقة تغطيها الخضرة وتملأها الأشـــجار الغنيـة بالثمار .. وقد كان ..

وعندما وصلنا بسهولة فعـلا الى تلك المنطقة ، أدركنا السبب فى نجاح أم اجنوسى فى الهروب بطفلها عبر هذا الطريق .. لأنه كان من المحال عليهـــا أن تجتاز الصحراء وهى تحمـــل طفلا من نفس الطريق الذى اجتزناه وعبرناه فى رحـلة الذهـاب الى تلك المغامرة .

كان انفادوس قد ودعنا عند آخر منطقة تنتهى فيها الجبـال وتبدأ منهـــا الصحراء ، وكاد المحارب

القديم الطيب أن ينفجر بالبكاء وهو يودعنا ·· وطلب من جنوده أن يحيونا تحية ملكية ، فضاحوا جميعا فى صوت واحد : « كوم ! » · وكان آخر ما فعله معنا هو اطمئنانه الى أن الرجال الذين سيصاحبونا فى رحلة الصحراء القصيرة ، يحملون معهم كميات كافية من الماء والطعام ··

وفى ظهر اليوم الثالث من بداية رحلة الصحراء ، ظهرت معالم المنطقة الخضراء المملوءة بالأشجار التى حدثنا عنها انفادوس ·· وقبل غروب الشمس ، كنا نمشى فوق الأعشاب الناعمة بتلك المنطقة ·· ونسمع خرير المياه الجارية ·

والآن ·· أصل بكم الى أغرب شىء حدث لنا فى تلك المغامرة منذ بدايتها ·

بينما كنت أسير فى المقدمة ، توقفت فجأة ومددت اصابعى لأفرك عينى ·· ما هذا ·· هل هذا معقول ؟·· فعلى مسافة لاتزيد عن عشرين ياردة رأينا كوخا صغيرا

جميلا وسط الأشجار ! .. **وقلت لنفسي** : من ذا الذى يعيش ياترى فى هذا الكوخ .. ؟!

وفجاة ، فتح باب الكوخ وخرج منه رجل أبيض يرتدى ثيابا من جلود الحيوان !!

كان يعرج فى سيره .. وتبـــدو رجله اليمنى وكأنها مكسورة .. وكانت لحيته الســوداء كثيفة جدا .. فاعتقدت أنى قد جننت..فهل هذا معقول؟.. هل يعقل أن صيادا أبيض قد استطاع الوصول الى هذا المكان .. ؟!

وقفت مشدوها أحملق فى هذا الرجل .. ووقف الرجل مشدوها يحملق فى .. وفى تلك اللحظة وصل السيرهنرى والكابتن جود **فقلت لا ألفت نظرهما** :

ـ أنظرا .. هل هذا رجل أبيض ، أم تريانى قد جننت .. ؟!

وقف الاثنان مشدوهين من شدة وقع المفاجأة .. وعندئذ أطلق الرجـــل الأبيض صرخة هائلة وأسرع



وظهر رجل أبيض يرتدي ثيابا من جلد الحيوان

يجرى نحونا باقصى ما يستطيع .. وعندما اقترب منا سقط كما لو كان قد أغمى عليه .. !

وعندئذ قفز السيرهنرى نحوه وهو يصيح :

ـ يا للسماء ! .. انه اخى جورج .. !!

ثم فوجئنا بظهور رجل آخـر من خلف الكوخ وكان يحمل بندقيـة .. وعندما رآنى اندفع نحوى بأقصى سرعة وهو يصيح :

ـ ألا تذكرنى ياسيدى .. أنا جيم الصياد .. لقد فقدت ياسـيدى الرسـالة التى أعطيتنى اياها لابلغها لسيدى .. لقد عشنا هنا سنتين متتاليتين !

ثم ارتمى على الأرض يبكى فرحا . فقلت له ؟

ـ يبدو انه لا فائدة فيك أيها الرفيق المهمل .. انك تستحق العقاب على ذلك .

وأفاق الرجل الأبيض ، ونهض واقفا ، ووضـع يده فى يد أخيه السير هنرى .. وظل الاثنان يهزان

أيديهما لمدة طويلة دون أن ينطق أحدهما بكلمة ٠٠ ان مشاجراتهما فى الماضى (وقد تكون بسبب امرأة) قد انتهت الآن ، وذابت ذكراها فى عالم النسيان ٠٠

وقال السير هنرى فى النهاية :

ـ ياصديقى العزيز ٠٠ لقد اعتقدت انك مت ٠٠ وذهبت الى جبال سليمان للبحث عنك ٠٠

ـ لقد حاولت عبور جبال سليمان منذ حوالى سنتين ٠٠ ولكن صخرة ضخمة سقطت على رجلى اليمنى فكسرتها ٠٠ وبسبب ذلك لم أستطع أن أواصل الرحلة ، ولم أستطع أيضا أن أعود الى من حيث جئت ٠

وهنا سالته :

ـ والآن كيف حالك يامستر نيفيل ٠٠ هل مازلت تذكرني ٠٠ ؟

فاجاب وهو مازال متاثرا بالمفاجأة :

ـ طبعا .. الست أنت كوترمين .. وأليس هذا صديقنا الكابتن جود .. انتظروا لحظة يا أصدقائى لأنى أوشك على الاغماء مرة أخرى .. كم هى غريبة هذه المفاجأة المذهلة بعد أن كنت قد فقدت كل أمل !

فى تلك الأمسية حكى لنا جورج كيرتيس قصة محاولته المضنية للذهاب الى جبال سليمان عبر هذا الطريق الذى وصفه له بعض الأهالى .. وقصة الحادث الذى تعرض له وتسبب فى كسر رجله ، وقراره البقاء فى هذا المكان لعل بعض الأهالى يحضرون لانقاذه .. وخيبة أمله فى ظهور أى انسان لمدة طويلة تقترب من سنتين .. عاشهما مع مساعده جيم مثل روبنسون كروزو ومساعده فرايداى ..

وبطبيعة الحال ، فقد اضطررنا لحمل المستر جورج كيرتيس أثناء عبورنا الصحراء عائدين الى دربان ، لذلك فقد كانت رحلتنا شاقة مضنية لاتختلف

كثيرا عما عانينـــاه فى اجتيـــاز الصحراء أثناء رحلة الذهاب ..

لقد مضت الآن ستة شهور على هذه الأحداث .. وأنا أجلس الآن فى بيتى الصغير بدربان وأكتب هذه الكلمات ..

وقد وصـــلنى اليوم خطـــاب من السير هنرى كيرتيبس .. هاكم نصه بالكامل :

يرايلى هول ، يوركشير

الأول من أكتوبر ١٨٨٤ .

عزيزى كوترمين .

لقد أرسلت اليك خطابا منذ ثلاثة أسابيع أخبرك فيه أننا قد وصلنا أنا وجورج وجود بسلام الى انجلترا . وذهبنا الى لندن سويا . ولك أن تتصور منظر الكابتن جود فى اليوم التالى لوصولنا الى لندن .. وهو يرتدى ملابس جديدة أنيقة .. ويضع على عينه « مونوكل »

جديدا نظيفا وجميلا .. وذهبنـــا للتنزه معـا فى الحديقة ، حيث قابلنا بعض الرجال الذين نعرفهم ، وحكيت لهم قصة « سيقان الكابتن جود البيضاء » .. فغضب الكابتن من ذلك خصوصا لأن أحدهم قد نشر هذه القصة فى احدى الجرائد .

أما بالنسبة للموضوع المالى .. فقد ذهبنا أنا وجود الى بعض الجواهرجية لنعرف القيمــة الحقيقية « للماس » .. واخشى أن أخبرك بالمبلغ الذى قدروه .. فهو مبلغ كبير جدا .. ونصحونا أن نبيع قليلا من الماس على فترات متباعدة ولا نبيع كل الماس فى صفقة واحدة ، وذلك حتى نحصل على أعلى سعر ممكن فى كل مرة . وعرضوا دفع مائة وثمانين ألف جنيه مقابل كمية صغيرة من هذا الماس .

وأريد منك يا صديقى العزيز أن تفكر جديا فى العودة الى انجلترا .. وأن تشترى بيتا مناسبا فى موقع قريب منا .. لقد اشتغلت بما فيه الكفـاية ،

وأصبحت الآن رجلا غنيا تملك أموالا طائلة .. وهناك منزل جميل بالقرب منا سيروقك تماما وهو معروض للبيع يمكنك أن تشتريه ..

وعليك أن تحضر في أقرب فرصة ممكنة .. واذا بدأت رحلة العودة الآن فور قراءة هذا الخطاب ، فانك ستصل في أعياد الميلاد وستكون في ضيافتي ..

والآن وداعا ياصديقي العزيز حتى ألقاك .. انى لا أستطيع أن أقول شيئا آخر ، ولكنى على يقين بأنك ستحضر فورا لأن ذلك سيسر صديقك المخلص .

« هنرى كيرتيس »

ملحوظة :

انى أعلق البلطة التى استخدمتها للقضاء على توالا على الجدار الذى يعلو مكتبى .. وأرجو أن تحضر معك الدروع الحديدية التى كنا نرتديها تحت ملابسنا ..

« هـ . ك »

ونحن الآن فى يوم الثلاثاء ..

وهناك سفينة ستبحر يوم الجمعة ..

وأنا افكر جديا فى أن أفعل كل ما قاله صديقى العزيز هنرى كيرتيس .. !

الفهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٨١١٩ /٩٧

I. S. B. N 977 - 01 - 5330 - 3

■ سير هنرى رايدر هاجارد

ولد فى إنجلترا فى ٢٢ يونيو ١٨٥٦م، ومات فى لندن فى ١٤ مايو ١٩٢٥م، عاش حياة حافلة فى شتى المشاغل والهوايات، ومارس مهنة المحاماة وتقلد وظائف حكومية مختلفة، كما مارس حرفة الزراعة، وألف فيها كتبا، وعمل بالإدارة القانونية لإقليم الترانسفال، حين كان هذا الإقليم خاضعاً للاستعمار البريطانى، لذلك كانت معظم رواياته الأدبية تدور أحداثها فى أفريقيا.

ومعظم أعما ...
أفلام سينمائية ...
أشهر روايا ...
سليمان)، و (ه ...
الصباح) وروايا ...

مكتبة الأسرة

القراءة للجميع

بسعر رمزى خمسون قرشاً
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٧

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب